أدولف هتلر

زعيم الاشتراكية الوطنية
مع بيان المسألة اليهودية

أحمد محمود الساداتي

بدار الكتب المصرية

الطبعة الأولى

١٣٥٣ هـ — ١٩٣٤ م

المطبعة الرحمانية بمصر

الاهـداء

إلى أمي وأبي .....؟

اثبات أهم المصادر

1	Mein Kampf.	Adolf Hitler.
2	Vom 1914 Weltkrieg zur 1933 nationalen Revolution.	DR. Wilhelm von Kloeber.
3	Wie Adolf Hitler der Fuhrer wurde.	Ezech = Jochberg.
4	Die Juden	Gottfried Feder.
5	Bewaffneter Aufstand! (der Kommunismus-in Deutschland)	Adolf Ehrt.
6	Die Reden Reichskanzler	Adolf Hitler.
7	Nazi Germany Explained.	Vernon Bartlett.
8	An eye wittness in Germany	Friedrick Bôôk.
9	Germany Reborn	General Goering.
10	L'homme qui vient	Roger.

فهرس الكتاب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

و بعد ، فلم يكد يستولى زعيم ثورة النازى المستشار أدولف هتلر على مقاليد الحكم فى ألمانيا حتى رأينا مكتبات أوربا ومطابعها تفيض بآثار الأقلام عن هتلر وعن ثورة النازى ، فريق منها يثنى عليه و يؤيده ، وفريق آخر يحمل عليه ويهاجمه . ولم تكن حلقة الاتصال بيننا و بين أوربا ، وهى لا تعدو بضعة أيام . لتنقل إلينا غير بضع كتب قليلة لم تتضح معها الفكرة أو تتصل بخيوط الشبكة التى تربط ثقافتنا الشرقية بالثقافة الغربية . هذا عدا حملات قامت بها صحف فى الشرق مغرضة — هى بحمد الله دخيلة فى أرضه و بين شعوبه — نزلت إلى درك الإسفاف والمهاترة وخرجت عن واجب اللياقة وأصول المنطق .

ولقد رأينا أثناء الحرب ، وكانت ألمانيا لايزال لها أصدقاء و إن كانوا قليلين ، كيف كانت تلفق التهم ضدها وتذاع الأكاذيب عنها ، فما بالك

وقد خرجت من الحرب وليس لها صديق ، حتى إن النمسا قد نقضت ما بينها و بين شقيقتها الـكبرى من مودة وذهبت تطلب ود أعدائها ممن اشتروها بثمن بخس هو التظاهر بمساعدة لا تسمن ولا تغنى من جوع .

ولقد عمدت إلى إخراج هذا الـكتاب بعد بحث طويل فى مختلف المصادر و بمختلف اللغات أرجو أن أسد به فى العالم الشرقى فراغاً .

استهللت هذا الـكتاب بنبذة عن ألمانيا قبل الحرب ومركزها العالمى ومبلغ ما كانت عليه هى ودول أوربا من الاستعداد للحرب العالمية الـكبرى الأخيرة . ثم تـكلمت عن هتلر وترجمت له حتى نهاية الحرب العالمية. ثم عن تبعة الحرب ومعاهدة فرسايل ومبلغ ما كان يذاع من الاشاعات عن ألمانيا أثناء الحرب ، ثم عن الانقلاب الجمهورى فى ألمـانيا وما عانته ألمانيا مدى الأربعة عشر عاماً التى تلت الحرب حتى قام هتلر بثورته ، فأنقـذ وطنه من براثن الفوضى وقضى على عوامل الاضمحلال والاضطراب فيه . وقد شرحت هـذه الثورة السلمية ومبادئها و برنامجها وأغراضها ، ثم أفردت باباً خاصًا بالـكلام على اليهود ومركزهم العالمى عامة ومركزهم فى ألمانيا خاصة .

كذلك كان فرضا علينا أن نسرد فى نبذة خاصة ، الدور الشائن الذى لعبته الشيوعية ومبادئها فى ألمانيا مما نرى معه أن قادة الثورة النازية وزعماءها جديرون بأن يتوجه إليهم العالم المتمدن بالشكر العميق اعترافاً بالعمل الجليل

الذى قاموا به وهو سحق الأفعى الشيوعية قبل أن تنفث سمومها فى العالم عن طريق ألمانيا ، بعد أن كادت تصيب من قلب أوربا النابض مقتلا .

كذلك سجلتُ فى هذا الكتاب بحثاً نتيجته أن الحركة الألمانية الأخيرة لم تكن بالتقليدية. فما هى إلا وليدة الشعور الوطنى الصادق والتقاليد الأمبراطورية الموروثة . وختمت هذا الكتاب مبيناً نيات ألمانيا نحو السلم العالمى .

ولئن فسحت من صحائف هذا الكتاب لوجهة النظر الألمانية ، ولاسيما فيما يختص بالمسألة اليهودية، فانى لم أقصد من وراء ذلك أكثر من إعطاء الفرصة لرأى محترم أن يبسط قضيته مع ما يتبعها من حجج وحقائق تاريخية .

وأخيراً أضع هذا الكتاب الذى هو مجرد بحث تاريخى لم أعمد للتحيز فيه ، بين يدى الناطقين بالضاد ، وأرجو أن أكون قد بينت به سر التطور الألمانى الحديث .

ولا يفوتنى أن أنوه بفضل حضرة الأستاذ الفاضل عبد الرحيم افندى محمود على هذا الكتاب فى تهذيب عباراته وضبط كلماته ؟

ربيع الثانى سنة ١٣٥٣
يوليـة سـنة ١٩٣٤

المؤلف

المانيا من عهد تأسيس الامبراطورية
الى الحرب العالمية

أسست الأمبراطورية الألمانية فى ١٨ يناير سنة١٨٧١ ولم تك فكرة تأسيسها بنت عامها أو وليدة المصادفة بل كانت تلك المسألة تشغل الرأى العام الألمانى زهاء ستمائة عام حتى كان ذلك اليوم الذى أعلنت فيه وألوية النصر ترفرف على الجيوش الألمانية المتحدة الظافرة فى حصن فرسايل الشهير. ولقد مهدلها بالعمل المنتج بسمارك طيلة ثمانية أعوام واجه خلالها من العراقيل والصعاب الشيء الكثير فذلله ، وأسدل بذلك الستار على ما كان يثار من الحروب بين أفراد البيت الواحد ، وائتلفت الولايات الألمانية كبيرها وصغيرها تحت لواء وزعامة بروسيا فاحتضنتها . على أن ما قام به بسمارك لم يكن فيه تحقيق كامل لآمال الشعب الألمانى ولا الامبراطورية الألمانية ، اذ بقى الاثنا عشر مليون المانى فى النمسا بعيدين عن الواحد والأربعين مليون ألمانى الذين تظلهم راية الأمبراطورية . وهكذا بقيت أراض المانية فى حوزة تاج هبسبرج منفصلة عن أمها الرءوم المانيا . على أن ذلك لم يكن ليغمط أو يقلل من فضل العمل المجيد الذى قام به بسمارك وفشل فيه كثيرون من قبل . ولقد كان طبيعيا وقد أخذت الأمبراطورية المتحدة

تدرج فى التقدم بخطى موفقة واسعة ، أن يتجهم لها وجه أوربا ويعبس ، وفى مقدمتها فرنسا وروسيا اللتان كان وقع هذا الحادث الجليل ونتائجه عليهما كالصاعقة . ولقد كان من البديهى أن تعمل الأمبراطورية الحديثة ، وهى التى ترنو إلى تبوء المركز اللائق بها، على تغيير روح الشعب الألمانى وحياته وتنقيته والأخذ بيده ، ولقد جرى ذلك كله فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، فاذا بالأرض الألمانية يتغير وجهها من خضرة وبلدان صغيرة إلى غبار وقتمة ، ومدائن كبرت وتعددت ، ومراكز صناعية أنشئت . وهكذا غمرت الحياة ألمانيا من كل جانب تصبغها صبغة الأمبراطورية الجديدة .

ولقد أخذ الناس ينظرون إلى الماضى بأسى وأسف عميقين أن لم تتح لهم الفرصة ، ولا سيما على ضياع الخمسين عاماً التى سبقت تأسيس الأمبراطورية ؛ فى سنة ١٨١٥ لم يكن يقطن الأراضى الألمانية أكثر من ٢٤ مليوناً ارتفع عددهم فى أول عهد الأمبراطورية فى سنة ١٨٧١ إلى ٤١ مليوناً أو ما يقرب من الضعف ، وقفز هذا العدد فى سنة ١٩١٥ إلى ٧٠ مليوناً أو ما يقرب من ثلاثة أمثال العدد الأول . كذلك تغيرت نسبة من قطنوا المدن بدرجة تدل على مبلغ النشاط العظيم ؛ فقد كانوا فى سنة ١٨٤٨ ، ٢٥ ٪ من مجموع السكان ، فاذا هم فى سنة ١٨٧١ ، ١ر٣٦ ٪ . وفى سنة ١٩١٤ أكثر من ٦٠ ٪ . كذلك قل عن الحياة الصناعية

والاقتصادية . واطّراد ازدياد عدد المشتغلين بها اطّرادا هائلا .

بين هذه المظاهر وضع بسمارك حجر الزاوية فى الأمبراطورية ، وتعهد الحياة الاقتصادية بما رسمه لها من سياسة وطيدة فكان بذلك حامل لواء النهضة الذى لايبارى . ولم يكن بسمارك ليترك القافلة فى سيرها المُوفّق هذا دون أن يعدّ العدّة كاملة لوقايتها ، وهو اللبيب الحذر الذى يعلم نيات فرنسا وما تحاوله من الأخذ بالثأر واسترداد زعامة أوربا التى أكسبها إياها نابليون ، وما تصبو إليه من استرداد الألزاس واللورين هاتين المقاطعتين الألمانيتين الأصليتين اللتين انتهز لويس الرابع عشر ضعف ألمانيا فانتزعهما منها . وهذا إذا أمِن بسمارك جيران ألمانيا الآخرين مع العلم بأن فرنسا فى طلب الثأر تحاول عزل ألمانيا وجعلها منفردة بعقد معاهدات الصداقة والتحالف مع جيران الأمبراطورية الجديدة . وفى سنة ١٨٧٩ توصل بسمارك إلى عقد معاهدة تحالف بين المانيا والنمسا ، وأزال ما كان يعكر الصفاء بين الشقيقتين ، و بذلك أمن ذلك الكابوس المخيف وهو أن تدخل النمسا فى صف فرنسا والروسيا فتكوّن بذلك جبهة ثلاثية مخيفة ضد المانيا . وفى سنة ١٨٨١ عقد بسمارك معاهدة سلام مع روسيا ، وما هلّت سنة ١٨٨٣ حتى انضمت إيطاليا إلى التحالف الثنائى (النمسا والمانيا) وتلتها رومانيا . فما جاءت سنة ١٨٨٧ حتى أصبح البحر الابيض المتوسط مغلقاً فى وجه

التوسع الفرنسي تحميه انجلترا والنمسا وإيطاليا وإسبانيا ، فكان ذلك حجر الأساس في بناء سياسة بسمارك الخاصة بسلامة الأمبراطورية . هذا ما كان من أمر سياسته في أوربا . أما سياسته الاستعمارية فقد اطّرد نجاحها ، فلم تأت سنة ١٨٨٤ ، سنة ١٨٨٥ حتى كان علم الأمبراطورية ذو الثلاثة الألوان (الأسود والأبيض والأحمر) يرفرف فوق إفريقية الجنوبية الغربية الألمانية والتوجو والكمرون وإفريقية الشرقية الألمانية ، كما رفرف على أرخبيل بسمارك في غينا الجديدة وجزر سليمان ومارشال تظلّها الحماية الألمانية .

فاذا ما ذكرنا بسمارك العظيم وأعماله الخالدة المجيدة ، فلسنا نعني بذلك ما قام به وهو في منصبه إلى أن ترك الحكم سنة ١٨٩٠ فما كانت جهوده لتقف عند مغادرته كرسي الحكم ، بل واصلها أكثر من عشر سنوات متزعّما الحركة الاقتصادية وخالقا لها في أنحاء الولايات الألمانية ونافخاً فيها من روحه القويّ ليقوى نشاطها ويزداد . وما كانت لهذه الحركة الاقتصادية مآرب سياسية ترمي من ورائها إلى التوسع في تحقيق الأماني الألمانية ، فقد كان كل ما ترمي إليه توفير العمل للشعب الألماني . إذ لا ننسى أن الشعب الألماني في خلال القرن التاسع عشر تضاعف عدده إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه .

وإليك إحصاء بسيطا نسوقه فى معرض الدلالة شهادةً ناطقة على التقدم الاقتصادى الهائل الذى نالته المانيا : فنى الفترة بين سنة ١٨٩٠ ، ١٩١٠ تضاعف انتاج الصلب الألمانى أكثر من سبعة الأمثال حتى تعادل مع ما تنتجه إنكلترا وما أتت سنة ١٩١٤ حتى أصبح محصوله ثلاثة أضعاف المحصول الانجليزى . كذلك كان شأن محصول الحديد ، فقد كان لانجلترا حتى سنة ١٩٠٣ قصب السبق فى هذا المضمار ، ولا غرو فى ذلك فقد سبقت انجلترا المانيا عشرات السنين فى الاهتمام بالانتاج الصناعى ، فما هى إلا عشر سنين تلت ذلك حتى ارتفع الانتاج الألمانى للحديد إلى ضعف الإنتاج الانجليزي . أما عن صادرات الآلات فقد كانت المانيا فى سنة ١٩٠٧ فى المرتبة الثانية بعد إنكلترا ، التى هى أعظم ممالك العالم فى ذلك الوقت ، وكانت قيمة الفرق بين الانتاجين ٢٤٠ مليون مارك . وفى سنة ١٩١٢ تساوى الصادر فى المملكتين .

أما عن الصادرات التجارية الألمانية من ١٨٩٠ — ١٩١٣ فقد ارتفعت قيمتها من ٨ مليارات مارك إلى ½ ٢٢ مليار مارك فى حين ارتفعت صادرات انكلترا فى نفس الوقت من ١٥ مليار مارك إلى ٢٨ مليار مارك ، وارتفعت صادرات فرنسا من ٨ إلى ١٥ مليار ليس غير . وفى النصف الأول من سنة ١٩١٤ تعادلت قيمة صادرات المانيا مع صادرات انجلترا

أكبر دولة صناعية فى العالم، ولها أكبر قوة تجارية عرفها التاريخ .
كذلك اطّرد تقدم المنتجات الزراعية وازديادها بين سنة ١٨٨٥ وسنة ١٩١٠ م حتى زادت نسبة انتاج القمح ٤٠ ٪ والبطاطس ٥٥ ٪ فكانت المانيا سنة ١٩١٣ معدودة فى الصف الأول بين منتجى البطاطس والسكر .

وتعطينا مجالس التجارة واتحادها صورة مصغرة عمّا أصاب العمّال من نهضة بسمارك . ففى سنة ١٨٩١ كان أعضاء مجالس التجارة من العمّال ¼ مليون أى ربع عدد زملائهم الانكليز فقفز ذلك العدد سنة ١٩١٢ إلى ٣¾ مليون ، أى بزيادة ¼ مليون عن زملائهم الانكليز فى English trade union . وفى سنة ١٩١٤ كان اتحاد العمّال الألمانى أقوى اتحاد منظم فى العالم . كذلك قل عن النهضة البحرية وكيف أخذ العلم الألمانى يرفرف فوق البحار . وهكذا انقلبت ألمانيا إلى قوة هائلة يحسب لها أكبر حساب . ولقد كان فى كل تقدم تصيبه الأمبراطورية مجلبة لكراهيتها والحقد عليها والكيد لها . حتى إذا ما اعتزل المستشار الشيخ خدمة سيده القيصر ولهلم الثانى وخلفه من لم يبدوا كفايته أو ينهضوا بما كان ينهض به من المحافظة على كيان الأمبراطورية العتيدة والتوازن السلمى فى أوربا ، ابتدأ من كان يوادّ ألمانيا يتلون لها و يقلب لها ظهر المجن .

ولقد مكثت ألمانيا أربعة عشر عاماً بعد أن ترك بسمارك كرسيه فى جو سلام ووئام، على الرغم من أنه فى نفس السنة التى استقال فيها بسمارك ابتدأ الصدع الأول فى بناء سور السلم والطمأنينة الذى أحاط بألمانيا، فقد نقضت روسيا معاهدة الصداقة مع ألمانيا، وكان ذلك فى الوقت نفسه بداية الصداقة والود بين فرنسا وروسيا. وهكذا أعادت فرنسا تلك العدو اللدود إلى ألمانيا مخاوف الحرب فى ميدانين. فلقد أُدخل فى روع روسيا تحت تأثير حركة بنسلڤانية ما جعلها تحوّل غرضها وغايتها القديمة من غزو إستانبول إلى مناوشة برلين وڤينا، إذ زعمت أن ألمانيا والنمسا مجتمعتين فى قدرتيهما شل النفوذ الروسى فى البلقان ومحوه. وفى النصف الثانى من السنة التالية ابتدأت ثالثة المنافسات لألمانيا وأكبرهن فى القيام بدورها، إذ قام الملك إدوارد السابع يقود انجلترا فى منافسة تجارية عنيفة ضد ألمانيا. وفى سنة ١٩٠٢ أبرمت المعاهدة الانكليزية اليابانية ثم معاهدة صداقة بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ تلتها معاهدة ود ثالثة بين انجلترا وروسيا سنة ١٩٠٧. وأدعم ذلك كله بتحالف استعمارى تم بين فرنسا وإنكلترا ثم بين روسيا وانكلترا فى الشرق الأوسط والأدنى مما لم يكن يحلم به إدوارد السابع.

ولقد كان على ألمانيا الصغيرة أن تشق لها طريقاً وتفتح لها أسواقاً

تجارية فى مراكز العالم التجارية التى احتكرتها إنكلترا . ولقد قامت صحف انجلترا بالدعاية الواسعة ضد ألمانيا فى هذا الصدد، على الرغم من صغر الأسطول الألمانى الحربى بدرجات عن زميله الانكليزى وعدم إنتاج المستعمرات الألمانية ، بل حدا الأمر بانجلترا أن تعمل على تطويق المصنوعات والمنتجات الألمانية . وهكذا ماجاءت سنة ١٩٠٧ حتى كانت انجلترا وفرنسا وروسيا متضافرات للقضاء على ألمانيا ، كلٌّ ترتقب الفرصة أن تسنح . وهكذا بقيت الأمبراطورية الألمانية وامبراطورية النمسا والمجر ، بعد أن تخلت عنهما إيطاليا ، وحيدتين تواجهان الأمبراطورية العالمية الانكليزية وروسيا التى لاحد لها وفرنسا التى تفيض كراهية وحقداً متألبين عليها . إلاّ أنه لحسن طالع ألمانيا أنه كان لها أقوى جيوش العالم وأحسنها تدريبا كما تكاثفت قواتها الصناعية التى لم يكن لها مثيل آنئذ فبنت أسطولا قويا لتخاطر به أمام انجلترا ، ولها من شعبها وقوته المعنوية مدد .ولكن هل يخاطر الألمان مع هؤلاء المنافسين ومعهم النمسا ؟!

ولنرجع إلى النمسا والمجر فنقول : إنهما اتحدتا تحت تاج واحد سنة ١٧٦٧ وما لبث بعد ذلك أن أخذ التشك والسّلاف من جهة والبولنديون من جهة ثانية والنفوذ الأيطالى من جهة ثالثة ينفذون إلى مرافق الدولة ، وكان أكثرهم نجاحاً التشك والسلاف ، فتوحّدت هذه القوات جميعا لمناوأة ألمانيا

والعنصر الألمانى فى النمسا . وهكذا أصبحت النمسا ميدان تنازع النفوذ والمنافسة ، فكنت ترى التشك والسلاف والإيطاليين والبولنديين ضد الألمان ، على حين تجد الكرباتثيين ضد البولنديين ، ثم الكروات والسلاف والرومان ضد المجريين فى بلاد المجر .

وفى سنة ١٩٠٨ عظم النزاع بين الأجناس المختلفة فى النمسا والمجر، وذلك على أثر تخلى تركيا عن البوسنة والهرسك على أثر ثورة صغيرة بها . ولقد كانت البوسنة والهرسك يقطنها صربيون ، فكان مما تحلم به الصرب وتطمع فيه ضمها إليها ، وكانت نتيجة ذلك أن أوقدت شرارة سراجيفو بعد ستة أعوام من ذلك الحادث مستودع البارود الأوربى ، فكانت تلك الحرب التى اجتاحت أوربا بل العالم أجمع .

تلك صورة من الحالة الداخلية للمملكة الوحيدة التى بقيت موالية لألمانيا . ولقد ختمت هذه الصفحة بموت القيصر المسن فرانزجوزيف ذلك الذى احتال عليه إدوارد السابع فى صيف سنة ١٩٠٨ حتى قابله فى إشل Ischl وحاول أن يغريه بالانفصال عن ألمانيا والانضمام إلى التحالف ضدها ، فكان صدمة قاسية ورداً مؤلما ماتلقاه إدوارد السابع من القيصر .

وعند ما أذاع كارلس ماركس بيانه ونداءه فى سنة ١٨٤٨ لم يجد بين العمال الألمان من سميع ، اللهم إلا عدداً فى حكم العدم ، على حين تبعته آلاف

فى لندن سنة ١٨٦٤ واستمعت له .

وفى سنة ١٨٦٩ أسس Liebknecht مع Babel حزب العمال الاشتراكى الديمقراطى متخذين برنامج ماركس مناراً يهتدون به . ولقد أدرك بسمارك خطر الحركة الماركسية على الأمة ، فأصدر قانوناً فى أكتوبر سنة ١٨٧٨ لمراقبة تلك الحركة ونشراتها . فلقد كان بسمارك حريصاً على حفظ كيان العمال وحمايتهم ، فحارب الديمقراطيين الاشتراكيين بسبب مبادئهم الخطرة وما يرمون اليه ، كما عمِل على تأمين أفراد الشعب ، فجاء فى سنة ١٨٨٣ بقوانين خاصة بتأمين العامل فى حالة المرض ، وفى سنة ١٨٨٤ شرّع قوانين أخرى خاصة بإصابات العمل والمعامل، وفى سنة ١٨٨٩ بقوانين خاصة بالعاهات وإصابتها . على أن ذلك لم يكن ليُقرب بين الحكومة والعمال الذين رأوا فيما حصلوا عليه نصراً لهم ، فهم يطلبون مزيدا . فكان ذلك كالطُعم لدعاية أتباع ماركس والديمقراطيين الاشتراكيين .

وفى سنة ١٨٩٣ فاز الديمقراطيون الاشتراكيون فى انتخابات مجلس النواب ١٧٨٦٠٠٠ صوت وبلغت فى سنة ١٩١٢ ، ٤ ملايين صوت . ولقد وقف العمّال موقفاً معارضاً للأمة وخارجا على أرض الآباء ، فهل مثل هؤلاء يقومون بواجبهم فى الحرب المقبلة ؟؟

على أنه ما كان يُدور بخلد الألمان نشوب حرب أوخلافه ، وإنما الحذر

والحزم أن يكون الإنسان دائماً مستعداً . فالحرب التى كانت تتقيها ألمانيا أو تحتمل الدحول فيها إنما هى الحرب التجارية تُعْلِنها على من يعرقل تجارتها أو يحاربها . ذلك ما كان يدور بخلد ألمانيا حكومة وشعباً . وإن الانسان ليضع أمامه فى هذا الصدد حكمة اليهودى « راتناو » فى قوله : « إن الاقتصاد هو المقرر لمصير الأمة » .

وفى مايو سنة ١٩١٠ مات إدوارد السابع المحرّض الأكبر على تطويق ألمانيا، و بموته تغيرت مراكز رئيسية فى بلاد الرابطة الثلاثية . ابتدأت أولا بالروسى اسفولسكى الذى مكث من سنة ١٩٠٦ إلى سنة ١٩١٠ وزيراً لخارجية روسيا ثم وزيراً لها فى باريز . وفى يناير سنة ١٩١٢ جاء دور بوانكاريه الذى كان يتحمس كراهية ضد ألمانيا فقد أصبح رئيسا للوزارة ووزيراً للخارجية . وفى سنة ١٩١٣ فاز فى الانتخاب لرياسة الجمهورية بفضل نقود اسفولسكى التى أجزلها طائلة لصحف باريس، مما كان له أعظم تأثير فى الدعاية لبوانكاريه .

وفى يوليه سنة ١٩١٢ عُقدت معاهدة حربية بين فرنسا وروسيا تتضمن أن تُسرع روسيا بتجديد عمارتها البحرية فى البلطيك لمواجهة ألمانيا . وفى أغسطس أمضى بوانكاريه ٨ أيام فى بطرسبرج ووعد بالتعاون مع روسيا ما بقى فى الحكم مع جعل الخدمة العسكرية فى فرنسا ثلاث

سنوات . وفى سبتمبر عُقد اتفاق بحرى فرنسى إنكليزى ، تعهّدت فيه فرنسا بحماية البحر الأبيض المتوسط ، و إنكلترا بحماية شواطىء بحر الشمال الفرنسية . و بذلك أصبح الأسطول الانكليزى حراً فى بحر الشمال لمهاجمة أسطول ألمانيا . وكان بدهيا أن تنضم انجلترا إلى فرنسا فى حالة وقوع حرب بين ألمانيا وفرنسا وتساعدها فى حماية شواطئها غير الحصينة . وفى نوفمبر على أثر تبادل خطابات بين جراى و وزير فرنسا المفوض فى انجلترا چامبون تعهدت انجلترا بالوقوف بجانب فرنسا فى حالة أى اعتداء يقع عليها .

وعند ماقامت حرْبَا البلقان فى سنة١٩١٢ ، سنة ١٩١٣ وكادتا تلقيان العالم أجمع فى أتون الحرب رأت روسيا أن تتّخذ منهما سبباً وحجة للتدخل والزحف على النمسا . وفى الوقت نفسه أعلن بوانكاريه فى شتاء سنة ١٢ــ١٣ على لسان فرنسا أنّه فى حالة زحف روسيا على النمسا يمكن لروسيا الاعتماد على فرنسا .

ولأمر مّا رأت روسيا أن تعدِل عن خطّتها فى مهاجمة النمسا إلى حين. وفى سنة ١٩١٣ فاجأ الجيش الروسى العالم ببرنامج حافل ودب النشاط فى جميع نواحيه، وزيدت قوّته مليون ونصف مليون جندى، وفى الوقت نفسه نفّذت فرنسا قانون الخدمة العسكرية ثلاث سنوات ــ وقد سبقتها ألمانيا الى ذلك منذ سنة ١٨٩٢ ــ وضاعفت انجلترا تحصّنها البرى وتسليحها، وكذلك بلجيكا

وختم ذلك كله بأن أقرضت فرنسا روسيا مليارين ونصف مليار فرنك لتتمم أعمالها الحربية واستحكاماتها ضد ألمانيا . وكانت نتيجة التسليح الروسى أن أصبح فى مقدرة فرنسا وروسيا فقط أن تحشدا خمسة ملايين جندى ضد ثلاثة الملايين وثلث مليون الجندى التى يتكوّن منها جيشا ألمانيا والنمسا . وكانت فرنسا وحدها يزيد جندها بمقدار ٤٠٠٠٠ رجل بخلاف ٨٦٠٠٠ جندى من المستعمرات ، على جيوش ألمانيا التى يزيد عدد سكانها عن فرنسا بعشرين مليون نسمة .

ومنذ بدء سنة ١٩١٤ ابتدأت الجنود الروسية تَفِدُ من مقاطعات سيبريا إلى الغرب ، وابتدأت المانيا تطوّق ببراميل البارود مكدسة فى انتظار الشرارة تحوّل أوربا إلى جحيم وسعير . . فما الذى عملته ألمانيا لتضمن الحياة والحرية للشعب الألمانى ؟ ؟ ؟

فى نوفمبر سنة ١٩١٢ طلب لودندورف قائد المشاة إلى حكومة القيصر زيادة ثلاث فرق فى الجيش ولاسيما أن زيادة عدد السكان المطردة تسمح بذلك، فما كان من حكومة القيصر إلا أن نبذت هذا الطلب كيلا تؤوّل هذه الزيادة إلى معنى عدائى . وبعد مناقشة حادة فى الريشستاخ قرر المجلس فى ٢٩ مارس سنة ١٩١٣ زيادة الجيش بمقدار ١٣٦ ألف رجل فقط . وإن هذه الغلطة التى ارتكبتها حكومة القيصر آنئذ فى رفضها زيادة ثلاث

الفرق المقترحة كان لها أثرها السيء فى الميدان الغربى سنة ١٩١٤ مما لن تغفره الأمة أو ينساه التاريخ . ولم يكن الانسان فى ألمانيا يُفكِّر إذ ذاك فيما يُعَدّ لألمانيا من مصير ، وكان بعيدا عن أن يحمل منظاراً أسود ، لايفكر فى انجلترا أن تكون عدوًّا لألمانيا ، كالم يفكر أو يتوقع أن المصائب على الأبواب.

وفى مايو سنة ١٩١٤ زار الوزير الامريكى House هَوسْ برلين تنفيذاً لبرنامج أعدّه لمحادثات بين أمريكا وألمانيا وانجلترا للبحث فى خفض التسليح . ففى برلين أُعطى جميع البيانات فى إيضاح تام ، على حين قد أجيب فى انجلترا باقتضاب ، بل أبوا إعطاءه بيانات عن المعاهدة البحرية بين روسيا وانجلترا ، و بين انجلترا وفرنسا .

وجاءت طلقة سراجيفو فكانت الشرارة التى أشعلت العالم أجمع . ففى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ قُتل ولى عهد النمسا فرنسوا فرديناند وزوجه بيد عصابة سربية فى عاصمة البوسنة ، وذلك لأن روسيا وسربيا خافتا مما كان يقوم به الامير من تقوية النمسا والمجر . ولقد كانت الحكومة السربية واقفة على خطة الاغتيال، كما أحاط بها علماً الملحق الحربى الروسى فى بلغراد ، مما سنبينه فيما يلى فى وصف الحادثة ، على حين سهل الكولونل السربى ديمتريوفتش للقتلة اجتياز الحدود .

حادثة سراجيفو — لقد كان ضابط أركان الحرب الصربى أبيس فى النمسا يتلقى يومياً قصاصات الصحف التى كانت ترسل إليه بالمئات من بلجراد ، ولقد كان يبتسم فى تهكم مما يعتقده النمساويون فى السلاف من إخلاص . وكان ذلك الضابط ، وهو المحرك الأول للمؤامرة والمتآمرين والسلاف ، تصل إليه أخبار رحلات ولى العهد وأسفاره وبرامجها قبل أن تعلن ، فلا غرابة أن وصلت إليه أخبار رحلة ولى العهد إلى البوسنة قبل أن يعلم بتفاصيلها وترتيبها الارشيدوق نفسه .

« فى مدينتكم سيقتل الانسان » ذلك ماوجهه ولى العهد إلى عمدة سراجيفو عندما انفجرت أول قنبلة تحت عربةولى العهد وقرينته . على أن السلامة التى كتبتها لهما المقادير إذ ذاك لم تكن إلا مؤقتة ، فما كادت العربة تمر فى مضيق الحى الاسلامى فى سراجيفو حتى قوبلت بوابل من رصاص الطالب السربى برنسب غاص بعدها ولى العهد فى بحر من الدماء .

وفى ٢٣ يوليه سنة ١٩١٤ أرسلت النمسا إلى سربيا بلاغها المعروف . ولقد كان بوانكاريه منذ ٢١ يوليه فى بطرسبرج يحرّض على إيقاد نار الحرب . وردت سربيا ردّها المعروف . وكانت روسيا منذ ٢٤ يوليه آخذة فى الاستعداد للحرب القادمة . ولقد توجهت ألمانيا فى ٢٥ يوليه إلى باريس ولندن راجية التأثير فى روسيا ، وعرضت انجلترا طرح المسألة

السربية على بساط البحث . ولـكن فى نفس الوقت (فى ٢٥ يوليه) شاطرت لندن بتروغراد التعبئة لا بسبب السرب كما تقول ، ولـكن لما عسى أن يحدث مما قد يستدعى أن تزج انجلترا بنفسها فى الميدان

ولقد كان من المستحيل على النمسا أن تلجأ إلى تحكيم أوربى ، كما أعلنت إلى روسيا فى الوقت نفسه أنها لاتنوى غزو السرب . ولـكن فى ٢٦ يوليه عبأت روسيا ثلاث عشرة فرقة على حين لم تعبّى النمـا سوى ثمان فرق على قدم الاستعداد للحرب .

وفى ٢٨ منه أعلنت النمسا الحرب على السرب.

ولقد حاولت ألمانيا أن تجعل الحرب منحصرة بين النمسا والصرب فقط فلا تطير شرارتها إلى ممالك أخرى . فعرّج الامبراطور ولهلم على قيصر روسيا يرجوه أن يكون للسلم نصيراً ، وكانت نتيجة ذلك أن دخلت الروسيا فى ٢٩ يوليه فى محادثات مع النمسا .

وفى ٢٩ يوليه نفسه أحاطت انجلترا فرنسا علماً بأنه فى حالة اشتباك فرنسا فى حرب يمكنها الاعتماد عليها . ونقلت باريس الرسالة إلى بتروغراد مع هذه الحاشية : « إن فرنسا ستقوم بروابط الصداقة التامة مع روسيا »

وفى ٣٠ يوليه أمرت روسيا بالتعبئة العامة .

وفى ٣٠ يوليه حشدت فرنسا قواتها على الحدود .

وفى مساء ٣١ يوليه أعلنت روسيا أنها ستدخل الحرب . وعند مارأت النمسا روسيا تأمر بالتعبئة أمرت هى أيضاً بالتعبئة العامة . وفى مساء ٣١ يوليه اعترض القيصر ولهلم على الحكومة الروسية وطلب منها وقف الاستعداد للحرب ، ولكنه لم يتلق ردا أو جواباً . ولقد سألت برلين باريز فى نفس الوقت عن موقف فرنسا أزاء وقوع حرب بين ألمانيا والروسيا فأجابت بأن فرنسا ستعمل ما تراه فى مصلحتها هى .

وفى أول أغسطس الساعة ٤ بعد الظهر أعلنت فرنسا التعبئة العامة ، وفى الساعة الخامسة أعلنت ألمانيا التعبئة العامة ، وفى الساعة ٧ مساء أعلنت المانيا الحرب على روسيا . وفى ٢ أغسطس قررت الوزارة الانكليزية حماية شواطىء فرنسا فى بحر المانش وفى ٣ أغسطس الساعة ٨ مساء أعلنت ألمانا الحرب على فرنسا . ولقد كانت ألمانيا فى ٢ أغسطس قد رَجَتْ بلجيكا أن تسمح بمرور الجنود الألمانيـة فى أراضيها مع ضمانة سلامتها ، ولكن بلجيكا رفضت . وفى ٣ أغسطس قصدت الفرق الالمانية بلجيكا . واتخذت انجلترا من مرور الالمان فى بلجيكا حُجة وأعلَنْت الحرب فى ٤ أغسطس على المانيا . وفى نفس اليوم أعلنت بلجيكا الحرب على المانيا .

إن العالم يصيح بالقاء تبعة الحرب على ألمانيا لأنها ابتدأت بها .
وما كان ابتداء حكومة الامبراطور بهـا إلاّ مبادرة أن تغمر أراضيها
جيوش فرنسا وروسيا من جهتيها وتكتسحها ، فهى فى الواقع وقفت
موقف الدفاع عن نفسها فى دائرة القانون والعدل .



هتلر فى الحرب العالمية

« هذه هى الحرب » ردد هتلر هذه الجملة وكان إذ ذاك فى ميونيخ حديث العهد بها ، وردد الجملة نفسها أمير البحر الانكليزى فى ليل، وكرّرها أهل فينا البؤساء . وقبل أن نأتى هنا بيان الدور الذى لعبه هتلر فى الحرب العظمى سنسرد فى عجالة بسيطة ترجمة له إلى أن قدم ميونيخ وإلى أن أعلنت الحرب .

وُلِدَ أودلف هتلر فى ٢٠ ابريل سنة ١٨٨٩ فى بلدة إن Inn من أعمال برادناو . على أنه ليس لمولد أى عظيم أثر فى حياته . على أن ذلك يختلف فى هتلر ، إذ أن القول بأنه نمساوى الاصل ولد فى مدينة نمساوية ذو مساس بحياته الباهرة وحركته العظيمة .

تقع مدينة برادناو فى أرض المانية يقطنها ألمان صميمون ، وإن كانت سياسيا فى حوزة تاج هبسبرج النمساوى . فما قطنها السلاف يوماً ما ، أولئك الذين انتشروا فى بوهيميا وعرفوا بالتشك ، وقد لبثوا زهاء خمسمائة عام فى خمول . ولقد تألفت منهم جبهة مالبثت أن صارت حاجزاً دون رغبات المانيا فى توحيد الكتلة الألمانية فى النمسا والمجر والمانيا . ولقد بلغوا شأواً كبيراً وأصبحوا ينالون ما يبغون .

وعلى الرغم من ذلك فكنت ترى التشكى إذا ما ارتدى رداء الاحد أو كسوة المحاربين لا ينطق لسانه بغير الالمانيـة يرى فيهـا كماله . فما كانت اللغة التشكية متداولة إلا بين الخدم ، فكنت ترى شعراءهم وكُتّابهم وجامعاتهم فى براغ تغلب عليهم الصبغة الألمانية فى جميع نواحيهم . ولقد عملوا على اتساع نفوذهم وسلطانهم فالقوا ـ يدفعهم الجشع ـ بشباكهم على بلاط النمسا . وكانوا لأول عهدهم به لا يتخطون مراتب الخدم ، فاذا بهم فى فترة قصيرة من الزمن ينالون أعلى المراتب إذ أصبح منهم المستشارون وأصحاب الرأى فى المملكة . وهكذا رزحت فينا تحت عبء ديمقراطية زائفة ، ودّت معها القضاء عليهم بأى ثمن . ولقد تظاهر الطلبة الألمان فى يوم ما احتجاجاً على أعمال التشك ، فقابلهم التشك بحشد هائل منهم أخذ يدمّر كل ماهو المانى فى المدينة ، مما سبب كثيراً من الاضطراب والارتباك للحكومة . وكانت نتيجة ذلك أن أخذت الحكومة تمنح التشك المنصب بعد المنصب ، وهكذا اتّسعت دائرة نُفوذهم .

وسرت نوبات غضب وحنق هائلة فى النمسا كان من جرّائها أن قام أمثال Von Schoener وكارل هارمن ولف يُهيبون بالبلاد أن تقوم للقضاء على التشك . ولئن صادفهما سوء الطالع ففقدا مركزيهما ورتبتيهما بسبب هذه الحركة وزُجّا فى أعماق السجون ، فان التاريخ لم ينس أن

يسجل اسميهما فى صحائفه لما قاما به من تضحية لوطنهم المنكود ـ وهكذا وبمثل ذلك نمت حركة النازى على أكتاف الشهداء الخالدين ـ كذلك أخذ القسس الكاثوليك يبثون الدعاية فى وعظهم ضد المانيا ويحرضون على كراهتها . ولقد كان لتلك الحوادث فى نفس الطفل هتلر وحياته تأثير بالغ

وكان هتلر منذ أن التحق بمدرسة فنية فى Linz ، حيث كان يشتغل أبوه بالجمارك هناك ، هو وزملاؤه جد ميالين إلى تاريخ المانيا يرهفون الآذان اليه دون تاريخ النمسا . وقد أثبت ذلك الهر برونتج بوتش الذى كان بحكم وظيفته يلقن الأولاد التاريخ . كذلك يدين هتلر بجزء من ثقافته للمسرح ، فلقد كان لما رآه من روايات وما سمعه من أغان حماسية وشعبية أثر كبير فى نفسه فقد كان المسرح مدرسة هتلر الاشتراكية . ثم تلت ذلك أيام بؤس وشقاء قاساها هتلر ، إذ مات أبوه وحاول هتلر أن يلتحق بأكاديمية الفنون الجميلة فى ڤينا فلم تقبله . وما لبث أن فقد والدته ونفد ما تركته له من مال يسير . ثم واجه بعد ذلك هتلر أيام شقاء مريرة . وكان يصادفه الحظ تارة ويتخلى عنه أخرى . وكانت إدارات العمل مفعمة لدرجة أنها لم تكن لتتسع لعامل جديد . ولم يعرف عن هتلر آنئذ أنه يدمن الخمر أو ينحدر إلى السب والمهاترة أو الاتصال

باليهود أو الدمقراطيين الاشتراكيين . وعلى الرغم من حرج مركزه وصعوبة حصوله على العيش فقد كان شغلة تحريض ، ويجهر بالكراهية لليهود والديمقراطيين الاشتراكيين ، مما اضطر رؤساءه أن يقصوه عن العمل غير مرة . ولقد فشلت جميع المحاولات التى حاولها هتلر . فلقد كان يطمع أن يأتلف العمال وسكان المدن وأن تردم الهوة التى تفصل بينهم فلا يعود سكان المدن يشعرون بصلف وخيلاء على العامل فى رداء عمله دون أن يفكروا فى مصلحته وتخفيف ما يقاسيه .

ولقد رأى هتلر الحياة فى ڤينا قبل الحرب ورأى كيف تدفع الأمة إلى الهاوية ، ففى ناحية نساء غانيات وضباط حسنو البزة جميلو الهيئة وكرنڤالات تترى، يتخيلون جميعاً أن السماء تظلهم صافية ، على حين أنه فى ناحية أخرى عمال صاخبون يلعنون الحكومة ويضربون نساءهم ، يسوقهم أصحاب الأعمال أمامهم سوق الماشية . كذلك التف النبلاء حول العرش غير آبهين إلى الهوة التى تساق اليها المملكة صامين آذانهم عن صوت انهيار البناء وما دروا أنهم أشرفوا على الهاوية .

وقف هتلر مع الواقفين يستعرض جنازة الدكتور Leugner خير من أنجبت النمسا وخير من كانوا يعملون لصالحها آنئذ . ولقد تمثل فى تلك الجنازة انحلال النمسا فيما ظهر عليه الجيش من الانحلال الظاهر

وما ظهر عليه النبلاء من عدم الاكتراث ولقد استعرض هتلر كثيراً من القوم . ولـكن لم ير تشكيًّا . ولقد سأل هتلر نفسه إذ ذاك « هل تنتقل هـذه العدوى من الجسم العفن إلى المانيا الفتية ؟ ! وهل تجر الروابط بين النمسا والمانيا بالأخيرة إلى الخراب وتسوقها اليه ؟ ؟ » .

لقد كان اليهود يتحكمون فى العمل والعمّال .

لقد كانت النساء مندفعات فى تيار الخلاعة .

لقد كان الجيش المفروض فيه أنه حليف الجيش الألمانى بل أن يكون جزءا منه ، ٨٠ ٪ منه ليسوا من عنصر المانى .

ولقد ملأت الرغبة نفس هتلر أن يعيش فى أرض المـانية داخل حدود المانيا ، إذ قضى أيام الطفولة على حدود باڤاريا وتشبعت نفسه بروح الباڤاريين . وعند ماغادر القطار محطة ڤينا لم يفكر هتلر أن يلقى نظرة واحدة على البلاد التى هو مغادرها .

لقد كانت مدرسة هتلر فى النمسا مدرسة شقاء إلاّ أنّ جحيم الحرب جعله يذكرها كما يذكر الانسان الفردوس .

هتلر فى ميونيخ — كذلك عاش هتلر فى ميونيخ فى أرض ألمانية داخل الحدود الألمانية . عاش هناك كالمئات من صغار الرسامين وأصحاب الفن يربح من عمله ما يقوم بأود حياته . ولقـد رأى كيف أن السياسة

ومسائلها تدبر من وراء زجاجات الجعة « البيرة » فى ميونيخ . ولو كان بعض الزعماء فى ألمانيا آنئذ من أخذوا بآراء هتلر إذ ذاك ، لتفادت ألمانيا كثيراً من كارثات الماضى . ولطالما قال هتلر وردد القول : « إنه لضرب من الجنون والمجازفة أن تشترك ألمانيا أو ترتبط اقتصاديًّا مع بلاد فى حالة النزع كالنمسا . فهى إن بدَتْ فيهـا حياة فهى الحياة التى تسبق حشرجة الموت » . وشىء آخر قاله هتلر : « إن ذلك الوريث لتاج النمسا فرانز فرديناند ، متزوج من دوقة تشكية ، كراهة شعْبِها للألمان معروفة » . ولقد دعا ذلك الأمير يوماً القيصر ولهلم الثانى للصيد والقنص ، فلم يكن بين الحاشية والخدم أحد من غير التشك . كذلك كان فى وزارة البلاد نفسها من التشك من يحلم بطرد الألمان من مناصبهم فى النمسا وجيشها بل كان يعمل على ذلك . وكان سكان ميونيخ يصغون إلى ما يُقص عليهم وينظرون فى قلق و يهزون رءوسهم فى أسف واستعظام . ولم تكن خطب هتلر إذ ذاك إلا كقطرات الندى فى المحيط الزاخر ، فلقد كانت كثرة الشعب الألمانى تنادى وتتمنى انضمام النمسا إليها . وكان يُعنى بذلك أن تكون اللغـة السائدة فى النمسا هى الألمانيـة وأن تُصبغ براغ بالصبغة الألمانية ، لا أن تبقى كما كانت أشبه ببرج بابل ، إذ اجتمعت فيهـا العناصر المختلفة ما بين بولندى ويهودى ومجرى وتشكى وإيطالى .

وفى ٢٨ يونيه سنة ١٩١٤ قُتل ولى عهد النمسا وطارت شرارة الحرب . وعَبثاً حاول القيصر الألمانى ألاّ يَزُجّ ببلاده فى ذلك الأتون ، ولكنه أُرْغِم عليها .

ولقد كان من المضحك تصرّف السياسة الألمانية الخرقاء إذ ذاك ، إذ قررت أن أدولف هتلر فارٌّ من الجندية مع أنه كان قد التحق بفرقة ألمانية فى باڤاريا فضلا عن أنه لم يكن احتياطيا فى جيش النمسا . ولو أن هتلر قدّم نفسه إلى الهيئة التمثيلية النمساوية فى ميونيخ فورا لاقتيد إلى المشنقة باعتباره هارباً من الواجب الوطنى . أما وقد قدّم نفسه بعد زمن، فقد كانوا منهمكين بالتعبئة فأمروه بالرجوع إليهم فى الشهر التالى . على أن هتلر وقد رضى أن يستشهد متطوعاً فلا أقل من أن يكون ذلك لأجل ألمانيا فى فرقة ألمانية وكسوة ألمانية ، لافى فرقة نمساوية بها من التشك والسلاف والكرواتيين والبوسنيين والهنغاريين واليهود .

كذلك التحق هتلر بفرقة « List » و بعد تدريب قليل سارت الفرقة فى عجل إلى ليل . . . . إلى الميدان . وكان أن وقع قادة الجيش فى المارن فى ذلك الخطأ الذى سبب انكسارهم ، وذلك بتوجيههم الجنود الألمانية إلى بحر الشمال توهماً منهم أن الانجليز هناك . وما لبث أن زجّت فرقة « List » برجالها فى المعركة فى تيبرن ، مظهرين بسالة نادرة . ولقد حارب هتلر

بنفسه فى تلك الموقعة وجهاً لوجه. وما لبث بعد مدة أن عُيّن عسكرى مخابرات.

ولقد كانت مهمة عسكرى المخابرات إبّان الحرب الكبرى من أخطر المهمات وأشقها، فقد كان هو عمدة الاتصال ، إذ أن الاتصال التليفونى أثناء الحرب المتحركة كان شاقاً جداً و يبدو فى معظم الأحيان مستحيلا . وغنىٌّ عن البيان أن اللاسلكى والراديو لم يستخدم إلا فى أواخر سنى الحرب فضلا عن نفقاته الكثيرة وقتئذ .

فرئيس الفرقة يريد أن يتصل بالخارج و يتعرف ما يحيط به ، كذلك يريد أن يوزّع أوامره . فكان عسكرى المخابرات يقوم بذلك كله ، كما كان وساطة الاتصال بفرق المدافع الرشاشة فى الخنادق . فلقد كان يعرّض نفسه بتنقله من خندق لآخر فى الأراضى المكشوفة لأقسى ألوان الهلاك من قذائف وسيل من الرصاص غير منقطع .

كان هتلر واحداً من أولئك الجنود ، وكان يتطوع للقيام بكل مهمة شاقة بلا مخالفة أو تردد . لم تخفه نار ولم تفارقه شجاعته الممتازة التى لا توازن .

ولقد درّب هتلر نفسه بنفسه على شؤون الحرب وفنونها ، وما لبث أن أصبح بعد مدة وجيزة على إلمام تام « بتكتيك » الحرب ، ووقف على كثير من شؤون إطلاق النيران فى البطّاريات الانكليزية فى الميدان

وحيلها ،وأصبح يحزر ماسيحصل وما سوف تقوم به . وعرف أيضاً طبائع محاربى الخنادق وعاداتهم ونظام التطبيب بينهم . أجل! فقد قرأ كثيراً وطبق ما قرأ على ما شاهد .

لقد كان العدو قوياً أمام الألمان ، ولكنهم كان لهم عدو آخر قوى أيضاً فى صفوفهم ، إذ تفشت روح الاشتراكية الشيوعية بين العساكر الجديدة والصفوف الأمامية فى الميدان . وما أكثر ما انتابت هتلر حمى الغيظ والحنق أثناء وجوده فى المستشفى ، إذ كان يعالج من قذيفة شديدة أصابته ومن اختناق الغاز . « فما الفائدة إذا كان، وهو الذى يعتبرونه أفاقا نمساويا، مثال الشجاعة والاقدام فى الصفوف الأمامية ! وما الفائدة إذا هو أحرز وسام الصليب الحديدى ، على حين يرى الآخرين فى شدة التعب والاضمحلال والهلاك ؟ ؟ » لقد ضرب لهم مثلا فما اقتدى به أحد .

ووضعت الحرب أوزارها وجاء انقلاب نوفمبر وهتلر لايزال فى المستشفى، الذى يملؤه كثير من الأولاد اليهود على أنهم مرضى ، وكأنهم وقد سمعوا بخبر الانقلاب قد شفوا وراحوا بأر بطتهم الحمراء يرددون خبره فى غبطة وسرور.

يقول هتلر فى ذلك: « لقد حاولت أن أستعرض تلك الحوادث الخطيرة، ولشد ما كان يغرقنى عرق الخجل والخزى من هذا الانقلاب المغرض ! فماذا كان ألم عينى ، بسبب تسمم الغازات ، بجانب هذه الآلام ؟ ! . . . »

المانيا وتبعة الحرب

وأخيراً صب الحلفاء مافى جَعبتهم من حقد وخديعة لألمانيا فى شروط ولسن الأربعة عشر وجعلوا منها طَبخة افتراء هائل فى إلقائهم تبعة الحرب عليها .

على أن البحث التاريخى وما قام به المؤرخون فى جميع ممالك العالم ، سواء فى المانيا وفى انجلترا وأمريكا وفرنسا ، يعلن فى صراحة براءة المانيا من هذه التهمة ، وأنها لم تكن لها فى الحرب مآرب ترمى إلى تحقيقها ، وأنه لم يعمل لهذه الحرب لا الأمبراطور ولا رجاله ، حربيين كانوا أو مدنيين ، بل كانت المانيا غير مستعدة لها البتة . إذ كان غرض المانيا الأسمى وما وضعته نصب أعينها منذ تأسيس الأمبراطورية العمل على تقدمها الاقتصادى واجتناب تهديد هذا التقدم بالحرب خيفة القضاء عليه بها ، فكان بدهيًّا ألا تسعى المانيا إلى إشعال شرارتها .

إلاّ أنّ تطويق انجلترا لألمانيا سياسياً ، ثم السياسة التى سلكها Edward Gray فى ارتباطه مع من كانوا يتعجلون الحرب ، مع بوانكاريه وتكسيه و Iswolski ومن ناصرهم فى فرنسا وروسيا ، كل هذا هو الذى ساق إلى الحرب وجعل تجنبها أمراً مستحيلا .

وعند ما رأت ألمانيا نفسها بين تعبئة الروس والفرنسيين على طرفيها ، كل فى جهته ، عَمِلت على تقوية استحكاماتها دفاعاً عن نفسها .

وفى ٢٨ يوليه سنة ١٩١٩ أجمع الحلفاء فيما كتبوه فى معاهدة فرسايل على إلقاء تبعة الحرب الكبرى على ألمانيا وطلبوا إليها التكفير عن خطاياها بما أوقعوه عليها من قصاص لم يسمع بمثله فى التاريخ من قبل . ولقد لُطِّخَت معاهدة فرسايل بأكبر فرية عرفها العالم المتمدّن بما حوته إحدى مذكراتها من اتهام ألمانيا بأنها « تعمل على التغلب على ممالك أوربا والتوسع على حسابها وأن تخضعها لنفوذها وسلطانها ، كاحدا بها استعدادها (أى ألمانيا) إلى استغلال الروابط التى تربطها مع النمسا فعملت على خلق الحرب مع الصرب فى مدى ثمان وأربعين ساعة . ولقد كانت ترمى ألمانيا من وراء تلك الحرب إلى السيطرة على البلقان ، فعملت على ألا تجعل الحرب محلية وتجنّبت القيام بتسويتها ، بل بعرض تسوية لها حتى ضاع الوقت وأصبح اتقاء الحرب مستحيلا ، تلك الحرب التى كانت ألمانيا هى المستعدة لها بين الأمم » .

ولقد استهلّت المعاهدة بأن قوات الحلفاء كانت شديدة الرغبة فى استتباب السلام والمحافظة عليه وتجنّب الحرب التى اضطرتها ألمانيا أمّة أمة إلى خوض غمارها بعد إعلان النمسا والمجر الحرب على الصرب

فى ٢٨ يولية سنة ١٩١٤ ، ثم إعلان ألمانيا الحرب على روسيا وفرنسا فى أول أغسطس ، و ٣ منه على التوالى . كذلك خرق حياد البلجيك فيُعْلِن الحلفاء وتقر المانيا وحلفاؤها أنها المسببة لكل الخسائر التى سببتها فى ممالك الحلفاء والحكومات التابعة لها بسبب إشهارها الحرب .

ولقد راجت طيلة سنين الحرب اشاعة قوية باتهام القيصر ورجاله الحربيين بأنهم يرمون إلى غزو الممالك الآمنة لتأسيس أمبراطورية المانية عالمية ، إذ قامت دعاية قوامها الصحف الانجلوسكسونية اليهودية بنشر هذه الفرية وإذاعتها واتهام المانيا بتقويض أركان السلم العالمى حتى تم لهم ما أرادوا من تحريض أمريكا على دخول الحرب فى صفوف الحلفاء . وقد كانت حكومة المانيا الأمبراطورية فى عزلتها عاجزةً عن عمل الدعاية الكافية لدَحْض هذه الفِرْية ، كما كانت خالية الذهن عن معدات الحرب وخططها عند أعدائها المتحدين . وجاءت مؤامرات أتباع ماركس والدمقراطيين الاشتراكيين وما أحدثوه من الاضطرابات والانقلابات متكئين في ذلك على أيد أجنبية تسند ظهورهم ، فعمدوا إلى البحرية والجيش ورجاله ، وقاموا بتحريضهم والفَلِّ من عزيمتهم في الدفاع عن الوطن وحمايته ، وألقوا فى رُوعهم فى كل مكان أنهم مُساقون إلى جحيم لا يعرف له قرار ، وأنهم يحاربون لنصرة شخصٍ واحد : الأمبراطور .

ولقد كان التسامح بعينه أن يعلن الشعب الألمانى بعد انقلاب نوفمبر أنه مدين لهذا الانقلاب بالسلم ، وأن ما جرّته الحرب على المانيا من خراب جدير بأن يجعل الحلفاء يتركونها تعيش فى سلام ، وأن الاتفاق الودى الذى يَلْعَن المانيا الأمبراطورية ويُحَمّلها تبعة الحرب يؤكد نيّات ثورة نوفمبر الطيبة .

وكان من أوائل أعمال الحكومة الجديدة أن أسندت إلى اليهودى التشكى كاوتسكى وظيفة وكيل وزارة الخارجية كما أسندت إليه تسوية ديون الحرب ، فلم يَعْمَل لألمانيا بل عمل لنفسه ، فعمد إلى جمع وثائق سرية وحرّفها وباعها لأيد أجنبية . ولقد كان من مصائب انقلاب نوفمبر ونتيجة مجهود كاوتسكى أن أصبح اليهودى كوسما نوفسكى أيزنر رئيساً لوزارة بافاريا . ولقد عمل على اكتساب صداقة الحلفاء بمدهم ببيانات مفتراة تؤيد إلقاء تبعة الحرب على المانيا . كما عمد بوساطة ولهلم فورستر مندوبه فى برن إلى الاتصال بالحلفاء وإعطائهم صورة الروح والخطط الجديدة فى بافاريا . ولقد أطلَع أيزنر الحلفاء على جميع وثائق وزارة الخارجية الألمانية ووثائق أخرى أذيعت كأنها اعترافات وفيها تأييد لالقاء تبعة الحرب على المانيا .

ولقد عرف الحلفاء كيف يكمون فم المانيا أن تدفع عن نفسها ما افتروه عليها ، وساعدهم فى ذلك من دبروا انقلاب نوفمبر سنة ١٩١٨ ومن عملوا له . ولكن التاريخ سيحكم ، وإنه لحكم عدل .

هتلر فى حزب العمال الألمانى

سُرِّح الجيش الالمانى ، وكان هتلر لا يزال فى المستشفى ، فأصبح بعد هذا التسريح عاطلا لا عمل له مطلقاً . فلما غادر المستشفى ولم يكن له بيت يأويه التحق بمعسكر فرقة المشاة الباڤارية الثانية فى ميونيخ وعاش العيشة الحربية الصميمة فى المعسكر يحمل لقب الشرف « جندى »

وكانت ميونيخ يملؤها جيش من اليهود الشيوعيين الاشتراكيون ولكن الملازم Von Epp كان واقفاً لهم بالمرصاد

وأرسل هتلر ذات يوم مراقبا لاجتماع فرع جديد لجماعة العمال . فلم يستطع أن يخفى ابتسامة الأمل التى علت شفتيه ، إذ شعر بأن هناك رغبة قوية لإيجاد حركة جديدة لا إيجاد أحزاب أو شُعَب . وعند ما عاد فى المساء أخذ يراود نفسه و يسائلها : هل يلتحق بهذه الجماعة أم يعارضها ؟ . فكانت تُلَبّيه نفسه تارة وتتخلّى لشكه وحيرته أخرى . وفى كلتا الحالتين كان يشعر براحة ضمير من جهتهم . ومضى يوم وما استقرّ على شيء . وأخيراً صمم على أن يزُجّ بنفسه فى ميدان السياسة . ومِثْل هتلر من إذا صمم على شيء مضى فيه إلى النهاية لاينظر إلى الوراء ولا يعرف

سبيلا للنكوص عنه . وزاده قوة واستبشاراً ألا تعتمد هذه النهضة على هيئة برلمانية قديمة ذات تقاليد رجعية . وقد كان هتلر فقيراً إلا أنه كان أحبّ إلى نفسه وأروح لها أن يتحمل آلام الفقر وما يستتبعه من حرمان من أن يكون من أولئك الخاملين الذين ليس لهم ذكر ولا صوت .

ومما كان يحز فى نفسه أن لم يكن مثقفاً تثقيفاً كافياً فى المدارس والجامعات . ولقد ساءل نفسه وهو الذى بحث حالة الأمة بأدقّ منظار ودرس طباعها : أتسخر الناس من إنسان بلغ ذكاؤه مابلغ مادام يحمل شهادات ودرجات جامعية ؟ أم أن المرء يقاسُ بمقدار مايعمل وما يقدر أن ينهض به ؟ ؟ على أن الناس إذ ذاك لم يكونوا يُقدرون إلا حملة الشهادات وإن كانت رءوسهم جوفاء

وأخيراً خطا هتلر الخطوة الحاسمة فى حياته إذ انضم إلى حزب العمال الألمانى عضواً تحت الاختبار يحمل رقم سبعة . ولقد لعب هذا الرقم دور السعد فى حياة هتلر إذ كان يحمل رقم سبعة وهو عضو تحت الاختبار ، ثم بدأ بأنصار سبعة، وعبر بأتباعه السبعة عشر مليوناً إلى الريشستاخ .

وقد عرف هتلر أطوار معاهدة فرسايل ودخائلها ، فعرف كيف أبرمت ، وكيف كان ويلسون من كليمنصو كالفأر من النمر ، وكيف لعب

لويد جورج دوره فى دهاء ، وكيف كان مندوبو ألمانيا السياسيين ضعفاء ، وإن كانوا حائزين للثقة والتفويض ، فقد أجبرت البلاد على ذلك . ولقد وضع هؤلاء الساسة الألمان نصب أعينهم أن يأخذوا على أنفسهم تنفيذ ما يتعهدون به فى فرسايل على الرغم من الاستحالة الظاهرة .

هذا ما كان من أمر السياسة الخارجية . أما السياسة الداخلية فقد وجد هتلر أن هناك حزبا واحداً يسمح له بعقد الاجتماعات وتنظيم المواكب دون غيره . وهذا الحزب يكوّنه أتباع ماركس أولئك الذين رام هتلر القضاء عليهم .

كان هتلر اذ ذاك عضواً في حزب العمال الألمانى . وإذا كان شعار ذلك الحزب وبرنامجه لم يكن ليشبع نفسه ، وإذا كان قد جاهد وكافح لتغييره ، فقد وضع فى شعار الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى ما كان يأمل فيه ويطمح اليه

ولقد بدأ هتلر وأنصاره السبعة فى الدعاية يقومون بها بين المعارف والأصدقاء وينشرونها ، غير أنهم لم يحالفهم التوفيق ، وأخيراً قرر هتلر ولوج باب النشر فى الصحف ، غير أن ما كان لديهم من مال قليل لم يساعد على ذلك . ثم عمدوا بعد ذلك إلى عقد الاجتماعات . فأول اجتماع نشر خبره فى جريدة « منشنر بأوبختر » وحضره ١١١ شخصا

عدّوه حلماً . وفى هذا الاجتماع تكلم هتلر عن مركز العمال فى الجمهورية الجديدة وكيف حُطِّمَ وأصبح فى ذاك الوقت كالاسفنجة المشربة برياء اليهود ووعودهم المزيفة وما يتشدقون به من المسالمة والاتفاق ، وحمل على اليهود وأصحاب رءوس الأموال وأتباع ماركس والشيوعيين .

وفى اجتماع آخر تكلم هتلر عن معاهدات برست ليتوفسك وفرسايل وسان جرمان . وتعدّدت الاجتماعات وتوالت واطّرد عـدد المستمعين اطّراداً هائلا ، فأخذ أتباع ماركس والشيوعيون يهاجمون حزب العمّال الاشتراكى الوطنى الألمـانى ويناوئونه وهو ينتقل من جهة إلى أخرى يتْبَعه الآلاف ، حتى وقف هتلر فى « كونجز بلاتس » يلقى برنامج حزب العمال الوطنى الألمانى على ثمانية عشر ألف شخص .

ثم أعلن هتلر أن مايحتاج اليـه من الانصار والأعوان ليس المتآمرين والفدائيين ولـكنّ عددا لايحصى من المجاهدين المملوءة نفوسهم حماسة لوطنهم وحباً لغرض النازى العالى . فليس بالخنجر والسيف بَغَى هتلر نشر حركته ورام كسب الجمهور لجانبـه ، إذ كان مارمى اليه إحياء القوة المعنوية فى الشعب واستمدادها منه .

وكان أتباع ماركس يُرْسِلون بمشاكسيهم فى عدد عظيم لاحداث الشغب فى اجتماعات هتلر وفضها . غير أن الشباب المجاهد من أنصار هتلر

الذين تتكونت منهم فرق الهجوم والدفاع وإن كانوا عزلا ، كانوا أسودا دافعت عن عرينها . ولأول مرة رأت ميونيخ سيارات تجوب حتى العمال ملأى بالنازى ويرفرف عليها العلم ذو الصليب المعقوف ، كذلك امتلأت الشوارع بجموع فى ملابسهم العسكرية يحملون على أذرعتهم شارة الصليب المعقوف ويرفرف عليهم علم هتلر . وسار الركب وتبع الذين فى غير رداء هتلر من هم بالقميص الأسمر يخطرون .

ثورة ميونيخ

على أثر اعتصابات الروهر ومنطقة الرين سرت فى البلاد روح قوية ، ظهر أثرها جلياً فيما قام به الباقاريون إذ هبوا يعملون ، فاستعرضت فرق مسلحة ونشرت راية الأمبراطورية القديمة ترفرف فوق الجميع وتظل الريشسفهر الذى وقف بضباطه بجانب الشعب الباقارى تجمعهم جميعاً النزعة الاشتراكية .

ولقد كان على رأس الحكومة الباقارية الجنرال فون كاهر ، وهو رجل لاينم مظهره عما تخفيه نفسه . وكان الريشسفهر (الجيش) فى قبضة الجنرال فون لوسوف ذلك الذى ربى فى حضن تقاليد الآباء العتيدة . ووقف بجانب هتلر وزيزر ولودندورف وغيرهم . وكان

الزعيم هتلر يرمى إلى الاندفاع إلى الشمال على حين كان فون كاهر يفكر فى الانفصال عن الشمال . ولقد كان هذا الخلاف فى الاتجاه ما يبدد من القوة المعنوية للثورة . وكان هتلر يعتزم أن يضرب ضربة فاصلة تقضى على الشيوعية والماركسية ، وأخرى يوجهها إلى حكومة برلين . وعماده فى ذلك الشعب وعزيمته لا شىء آخر . وظهر لودندورف فى الميدان ، وسارت الأمور فى تقدم وإن لم يكن كبيراً . غير أن وراء ظهر فون كاهر كان يُدبِّر ما يُدبَّر. وتحت تأثير قساوسة الـكاثوليك نقض فون كاهر وفون لوسوف وزيزو ما أعطوه لوندورف من عهد . فإذا بالريشسفهر فى موقف عداء لميونيخ ، وإذا بالسيارات المدرعة تحمل المدافع الرشاشة وتجوب المدينة فى حين كانت الشرطة تُنذر المتظاهرين باطلاق النار عند أول بادرة تبدُر منهم . وهكذا حكم فون كاهر ميونيخ بمدافعه الرشاشة وجنوده ، وقُتل أناس كثيرون . وفى وكر صغير عنـد حدود التيرول اعتُقل هتلر بعد بضعة أيام .

المحاكمة

قدّم هتلر لمحاكمة علنية كانت مثيرة للشعور العام والعواطف .

ولقد ووجه هتلر بفون كاهر فضيّق عليـه هتلر الخناق وأحرجه أيّما

إحراج حتى لم يستطيع أن ينبس بكلمة واحدة . وتهكم به هتلر ما شاء وكشفه أمام من ظنوا فيه إخلاصاً لهم على الأقل . ولقد أيد لودندورف هتلر فى كل ماقال ، وودّ لو وقف موقف الاتهام يحاكم مع هتلر وتأسف أن تكون له حصانة . وفى النهاية صدر الحكم باعتقال هتلر ورفاقه فى ٦ نوفمبر خمس سنوات فى حصن لندسبرج . وانتهت القضية بنصر معنوى لهتلر لا مثيل له . وكان الحكم مخففا ، وكان على هتلر أن يمضى الوقت — حتى يُفرج عنه أو يَصْدُر عنه عفو — فى إحدى حصون لندسبرج بباڤاريا . وقد أصبح من وُضعوا حرساً عليه بعد مدة وجيزة يلتهبون حماسة للاشتراكية الوطنية . على أن الحركة لم تقو على العيش خارج البناء .

برنامج حزب العمال الاشتراكى الوطنى الألمانى

فى لندسبرج فى المعقل كان هناك وقت كاف لزعيم الثورة السجين أن يُمهد لنهضة جديدة . فهناك وضع كتابه كفاحى « Mein Kampf » وهناك وضع هتلر برنامج الاشتراكية الوطنية فى دقة و إحكام . ونوجزه فيما يلى : —

١ — نرمى إلى النهوض بألمانيا واعادة سالف مجدها وعظمتها إليها .

٢ — تعديل معاهدتى فرسايل وسان چرمان .

٣ — استرداد المستعمرات الألمانية للمساعدة على تفريج أزمة الشعب .

٤ — لا يتمتع بالحقوق المدنية إلا من كانت تجرى فى عروقه الدماء الألمانية بلا أدنى ريبة أو اشتراك قديم مع دماء أخرى ، ولا يحق لليهود التمتع بهذه الحقوق .

٥ — الأجانب يقيمون فى ألمانيا كضيوف فى حدود القوانين التى يقررها سكان الولايات أنفسهم . ويجب ألا يشغل أى وظيفة فى الدولة غير أبناء البلاد .

٦ — المكافحة ضد النظام البرلمانى الفاسد ، إذ يحتل المرء مركزاً

برلمانياً لمجرد انتسابه لحزب معين من غير نظر إلى ماضيه أو كفايته أو أخلاقه .

٨ — أن تجعل كل ولاية فى المنزلة الأولى من اهتمامها توفير أسباب العيش لأبنائها وإن أدى ذلك إلى إخراج الأجانب الموجودين بها ، ليس منها فقط بل من المملكة إذا لزم الحال .

٩ — منع أى مهاجرة إلى ألمانيا . كذلك يجب أن يغادر ألمانيا أولئك الذين لم يقطنوها قبل ٢ أغسطس سنة ١٩١٤

١٠ — شعارنا أن يتمتع الألمانى الصميم بحقوقه المدنية كاملة وامتيازاته وأن يقوم بواجبه الوطنى مِن تثقيف نفسه جاعلا نصب عَيْنيهِ أن يتفانى كفرد فى مصلحة المجموع .

١١ — ونظرة إلى تقدير التضحية الهائلة بالنفس والمال التى قدمها كل محارب أثناء الحرب توجب اعتبار جمع المال والاثراء من وراء الحرب جريمة عظمى وخيانة للوطن كبرى لا يكفرها إلا مصادرة هذه الثروات .

١٢ — منح معاشات الحرب بكرم وسخاء مع ضمان معاشات للعمال .

١٣ — إنشاء مراكز صحية وتعميمها ورعايتها . ويجب على كل ولاية أن تقوم بذلك مع إنشاء الأندية الرياضية وحماية الطفل ومنع تشغيل الأحداث وجعل الألعاب البدنية إلزامية .

١٤ — إصلاح الأراضى ووضع قانون لنزع الملكية للصالح العام بلا قيد .

١٥ — إلغاء فوائد الرهون العقارية ومنع المضاربة العقارية ومقاومة أولئك الذين تقاسى الأمة من شرورهم وآثامهم أولئك المجرمين من المرابين .

١٦ — سن قانون ألمانى بدلا من القانون الرومانى .

١٧ — تشجيع نابغى الأمة على التحصيل والسير فى بحوثهم وتعليم أولاد الفقراء النابغين بقطع النظر عما يحترفه آباؤهم .

١٨ — الغاء قيود التجنيد وجعله إجباريا بالمعنى الصحيح .

١٩ — القضاء على التمويهات والأراجيف السياسية الباطلة وإذاعتها فى الجرائد وأن يكون رؤساء الجرائد والمجلات من أبناء البلاد مع مصادرة الجرائد التى تحارب الأمة .

٢٠ — لا نمانع فى حرية الأديان مادام لايسبب وجودها خطراً ، فانه وإن كان الحزب مسيحياً فهو لا تصبغه أية صبغة طائفية . ولئن حاربنا الروح اليهودية فانما نحارب الناحية المادية منها فى البلاد ، إذ أن شعار الحزب الأسمى « مصلحة المجموع فوق مصلحة الفرد » .

النازى فى الميدان

لم يُترك هتلر فى الاعتقال طويلا إذ صدر عنه العفو بعد اعتقاله أكثر من عام ، غير أنه لم يمنح حرية الكلام والخطابة إلا بعد عامين.

ولقدجمعت عزيمته الحديدية من إشتات حركة سنة١٩٢٣ قوة كانت ركناً عظيما ومصدراً كبيراً فى السياسة الألمانية . ففى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤ عندما غادر معتقله فى لندسبرج وجد أن الحركة قد خمدت وتفرق أعوانها وضل كثيرٌ من أتباعها وأنصارها الطريق .

ولقد كان الزمان نفسه كفيلا بأن يُحدث تغيراً وتبديلا . إلى أن جاء داوس بمشروعه الذى يرمى إلى غمر المانيا بالنقود الأمريكية فنفخ فى نهضة سنة ١٩٢٣ بعد سبات عميق ، فكانت قومةً جديدة فى المانيا. ولقد ابتدأ سترسمان إذ ذاك يرى فى فيضان الدولار مستقبلا حسناً وراء الأفق ، كما بعثت « لوكارنو » فى نفوس الكتلة الألمانية أملا زائفاً . وعرف هتلر كيف ينتهز الفرصة ليبتدىء الحركة من جديد . ولقد رأت حكومة باڤاريا أن تقطع عليه خط الرجعة ، فحظرت عليه الخطابة وحذا حذوها الولايات الألمانية الأخرى . ولكنّ هتلر الذى لم يعرف اليأس إلى نفسه سبيلا ، عرف كيف يبتدىء البناء من جديد ، وكيف يُعبِّد

لقافلته الطريق مذللا ما يعترضه من صعاب وعقاب .

وفى أواخر فبراير سنة ١٩٢٥ ظهرت لأول مرة جريدة فلكشر بأوبختر لسان حاله ، و بعد نحو نصف عام عُقد أول اجتماع للنازى . وسنحت فى مارس الفرصة المنشودة (لم يُعط هتلر حرية الخطابة إلا فى ١١ مارس سنة ١٩٢٥) التى أظهرت للعالم مدى الانتشار العظيم الذى حازته مبادىء هتلر ، وأثبتت أنه كفيل بالقيام بدوره فى الحياة السياسية العامة فى المانيا .

وعند موت الرئيس فردريك إيبرت خاض النازى أول انتخاب لرئاسة الجمهورية مؤيدين لمرشحهم لودندورف ففازوا بـ ٢٨٠ ألف صوت . وفى الانتخاب الثانى كافحوا لنصرة الفيلد مارشال هندبرج ، ولرفع أعظم جندى عرفته الحرب إلى أعلى مركز فى الجمهورية الألمانية فى انتخاب ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٥ ضد حزب الوسط واتباع ماركس .

وفى صيف سنة ١٩٢٥ انفصل النازى عن حزب الحرية الألمانى وعن لودندورف أثر خسائر فادحة ، وأخذت الحركة تخطو إلى الأمام ولكن فى بطء . وما لبثت تنمو وتنتشر فى البلاد و يزداد عدد أنصارها باطراد . كما أنشئت فروع لها ولفرق الهجوم والدفاع

ألا إنها بداية قام بها عدد من الرجال تملأ نفوسهم الثقة بمستقبل

ألمانيا والاخلاص لها ، فساروا بها في طريق النصر يحفّون بزعيمهم الذي رأوا فيه مثلهم الأعلى . ولقد حاربت صحف ألمانيا النازى ودعت إلى مقاطعتهم . وحُظر على هتلر وآخرين من أنصاره الخطابة ، كما حُظرت فرق الهجوم والدفاع في حين قام أتباع ماركس بإلقاء الرعب في قلوب الأنصار . ولكنهم وهم المؤمنون بصحة قضيتهم الموقنون بنجاحها لم يرهبوا الموت في سبيل المانيا . فساروا وساروا ولكن ببطء إلى الامام .

وفي صيف سنة ١٩٢٧ رأت الحركة الاشتراكية الوطنية في النمسا الألمانية في هتلر موئلا وأميناً .

وفي صيف سنة ١٩٢٧ استعرض هتلر في عيد الحزب الوطني الاشتراكي في نورمبرج ثلاثين ألفاً من أصحاب القمصان السمراء . وفي انتخاب الرشستاخ في ٢٠ مايو سنة ١٩٢٨ نال النازى ثمانين ألف صوت وفازوا باثني عشر مقعداً في المجلس .

وفي عيد الحزب في أغسطس سنة ١٩٢٩ استعرض الزعيم هتلر في نورمبرج مائة وخمسين ألفاً من أتباعه منهم ستون ألفاً من فرق الهجوم . وتلى هذا الجمع الحاشد رتل كبير من رجال مقاطعة السار . ولما كان ارتداء القمصان السمراء محظوراً عليهم فقد ظهروا في قمصان بيضاء . واستغرق هذا العرض أمام الزعيم أربع ساعات كاملة في استمرار .

وللصالح العام تألفت جبهة من الوطنيين الاشتراكيين والخوذة الفولاذية والحزب الوطنى لمحاربة مشروع الذى أتى به الماركسيون وحبّذوه وراموا أن تبلى البلاد بنوع جديد من الاستعباد .

والخوذة الفولاذية هى رابطة جنود الجبهة أسسها فرانززلدنا الذى حارب فى الميدان الغربى من ١٩١٤ — ١٩١٦ وحضر موقعة السوم وكان قائد فرقة مدافع رشاشة . وفى آخر سنة ١٩١٨ أسس حزبه فكان يروم بجماعته المتحدة العمل على صيانه الخُلُق الألمانى من الانحلال . وكانوا مسلّمين بدستور ڤيمار ، ولكن تحت راية الأمبراطورية القديمة مجهزين بأسلحتها وتعاليمها .

وفى يوم ذكرى تأسيس جبهتهم استعرضت مجدبرج عشرين ألفاً منهم فى معاطف الميدان الرمادية . ولقد خطت إلى الأمام وتبعها الشباب فى حماسة حتى إذا كان سنة ١٩٢٥ رأت مجد برج فى نفس العيد أكثر من مائة الف منهم فى ملابس الميدان .

ووقفت تلك الجماعة منتصرة للجندى العظيم هندبرج فى الانتخاب .

وفى مايو سنة ١٩٢٧ زحف ١٣٢ الفاً منهم إلى برلين الحمراء حيث عسكروا فى لُستجارتن وأعلنوا إحتجاجهم على معاهدة فرسايل . ولمّا رأت تلك الجماعة ماسيجره مشروع يونج من الخراب على ألمانيا انضمّت إليه

النازى مساهمة فى حركة الحرية للقيام بالواجب العام . كذلك اتحد معهم هوجنبرج زعيم الحزب الوطنى الألمانى فكوّنوا جبهة موحدة للعمل لأجل ألمانيا .

ولقد رفع هتلر وهو جنبرج وزلدتا صوت الأمة عالياً ضد مشروع يونج فى المطلب الرابع من قانون الحرية الذى وضعوه . كما اتهموا الحكومة بأنها تحت تأثير أيدٍ أجنبية تخضع لها ، قبلت ديون الحرب وسلّمت بها . كذلك طلبوا محاكمة المستشار ومعاونيه وأتباعه الذين سكتوا على ما أصاب البلاد ، وعلى ما تعانيه فى عهدهم من خراب . . . . .

وقامت الحكومة تناهض هذه الجماعة فى حرب قاسية كما قامت الأحزاب الأخري تدعو فى صحفها الأمة إلى عدم الاستماع لهم مُتغنّين بمشروع يونج ومروّجين له وداعين اليه . كذلك هددت بروسيا الحمراء بأشد أنواع العقاب كل موظف تُحَدّثه نفسه بالإنضمام إلى الشعب فى رغباته ، كما حرمت وجود جماعة الخوذة الفولاذية فى إقليم الرين وفى Westfalen . وأخذت فرق الرعب الشيوعية تهدد الناس فى حياتهم وما يملكون وأخذ النازى يكافحون فى استماتة ونشاط . فعقدوا لذلك إجتماعات عدة متوالية وقاموا يبث الدعوة ضد القيد الذى تريد به الحكومة إذلال الشعب تسعة وخمسين عاماً باسم مشروع يونج . تلك النكبة التى

يريدون إنزالها بالأمة بعد أن رأوا - ولم يكد يمر عام على مشروع داوس - كيف تضاعفت الأزمة الاقتصادية .

ولقد رفض الريشستاخ استفتاء الأمة فى هذا الشأن غير آبه لصوت الأمة ولا لرأيها . وهكذا أذعنت الأمة لكثرة سياسية أذلتها . ومات ستر زمان وخلفه Kurtus فى أكتوبر .

وفى ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠ وافق الريشستاخ على مشروع يونج بأغلبية ٢٦٥ صوت ضد ١٩٢ ولقد لعب الديمقراطيون الاشتراكيون دورهم كعادتهم دائما فى محاربة الأمة . وفى ٢٧ مارس استقال المستشار الديمقراطى ميلر . فعهد هندبرج إلى الدكتور هنريش برونتج بمنصب المستشار .

الروح النازى

باء الكفاح لرفض مشروع يونج بالفشل . ولكن ذلك لم يكن ليمنع الحركة أن تسير فى خطى واسعة . ففى سبتمبر سنة ١٩٣٠ أجرى الانتخاب للريشستاخ ، فصوت ٦ر٤ مليون لهتلر وفكرته ، واحتل بذلك ١٠٧ من أصحاب القمصان السمراء مقاعدهم فى داخل المجلس . وهكذا غمرت فكرة النازى المانيا وطغت على البلاد ، وأخذ الشعب فى الانضمام إليها متزاحمين لما رأوا فيها من الوطنية العملية الصادقة . والتفانى فى العمل للوطن . ولا غرو فقد كان ذلك سر النجاح العظيم الذى حازه النازى .

إن الروح النازى وهو الذى كوّنته الأمة يرمى إلى ربط الشعب برابطة الدم والعنصر الجرمانى الصحيح كما يعمل على تهيئة أسباب العيش والحياة رغدة للشعب ، وعلى وضع أساس لسياسة المانيا فى الداخل والخارج . ولم يكن للنازى همّ غير إظهار المانيا بالمظهر اللائق بها ، وخلق ألمانيا جديدة رائعة واستعادة حقها المشروع فيما سلبته منها معاهدتى فرسايل وسان جرمان من الأراضى وما اغتُصب من حقوق . كذلك رمت فى سياستها الداخلية إلى القضاء على الذين يعملون على أضعاف الأمة ورجوعها

إلى الوراء ودفعها إلى هاوية الاضمحلال . ثم القضاء على أتباع ماركس وما يعملون له من إثارة الحرب بين الطبقات ، والقضاء على ذلك النظام البرلماني وما تعمل فيه من أيد يهودية جعلت ألمانيا الوطن كـكُرة يلهون بها . إن حزب العمال الوطنى الاشتراكى جعل القضاء على هذا الدستور البرلماني الواجب الثانى عليه .

وكانت حربٌ لا هدنة فيها ولا هَوادة ضد الماركسيين والمتشيعين لدستور فيمار ، كما كانت مهاجمة لأولئك الذين يقفون فى سبيل رغبات البلاد وما ترمى إليه . فلقد ابتغى من قاموا بانقلاب نوفمبر سنة ١٩١٨ هدم الكيان القومى وانتشار الفتن وتحطيم الخُلق الألمانى وبث الفوضى فى كل مكان من وراء هذا الانقلاب .

وأخذت الاشتراكية الوطنية على نفسها تخليص الوطن الألمانى وتنظيف البلاد من هذه الأدناس والمحافظة على الروح الألمانية القوية الصحيحة ورعايتها .

كذلك اتخذ اليهود من دستور فيمار بوقاً ينفخون به بما كانت تنشره صحفهم من الدعاية الخبيثة . إذ وجدت فى هذا الدستور حامياً لها ولما تنشره أقلامها من نقد مرّ وقذف بالغ . ورأى النازى من أعمال اليهود

انهم يريدون القضاء على التفكير والآداب والتقاليد الألمانية قضاء مبرماً، فعملوا، وهم الذين ليس لهم مأرب غير المحافظة على عناصر الأمة الألمانية واتحادها، على تخليص الأمة الألمانية المجيدة من هؤلاء الدخلاء الذين حلّوا بالبلاد كالوباء الفتاك، والى هذا كان مردّ الكفاح. وقد تتبعت النازية خطوات العمل على إضعاف ألمانيا، وسارت معها ترقبها خطوة خطوة.

ولئن كانت الرعاية لحقوق الشعب وكفالة حرياته يجب أن تكون الحجر الأساسى فى تكوينه الداخلى، فقد جعل حزب العمال الاشتراكى الوطنى ذلك أساس برنامجه، وبخاصة ما يتعلق منه بالعامل الألمانى الذى يجب أن تتكفله الأمة برعايتها، كما تكفّلته بذلك منذ أكثر من قرن، وأن تقدم له ولأسرته يد المساعدة وتحميه أن يُستَغَلّ استغلالا سيئاً، وأن يعطى ذلك على أنه حق له لا أن يُنظر إليه في منحه نظرة المحسن إلى السائل، فاحياء ذلك العضو النافع الصحيح فى جسد الأمة وبث روح الحياة فيه هو ما ترمى اليه الأشتراكية الوطنية. أما ما يحاوله الشيوعيون من تسلط الرعاع وأقامة الحكومة منهم، ففيه مفسدة للعمال وهدم لكيان الأمة.

ولقد رأى النازى واجبا عليهم أن يحاربوا أصحاب رءوس الأموال المتشبعين بروح الأنانية واستغلال مجهود العامل فى سبيل شهواتهم الخاصة، تعاونهم أموال أجنبية يستغلونها فى هذا السبيل. كذلك أخذت النازية نفسها

بتخليص الفلاحين من يد الماركسية واليهودية والشيوعية ، تلك القوى الخبيثة التى رامت إخراجهم من أراضيهم وتقويض أركانهـم الخلقية ، فقامت بمـا رأته واجباً عليها فى حماية أولئك الوادعين من شر تلك الأوبئة ، وعملت على توفير أسباب الحياة فى كل مدينة وقرية ولـكل الأشخاص . شعارها فى ذلك أن مصلحة المجموع فوق مصلحة الفرد ، تمهد بذلك كله لمستقبل زاهر لا تنفذ إليه غاشية من ظلام .

وقد كان الماركسيون والاشتراكيون الديمقراطيون يعملون على هدم وحدة الأمة وكيان عنصرها ودمائها فيما سعوا إليـه من حرب الطبقات ، تسندهم في ذلك كثرة برلمانية . وكافحت النازية كل هذه القوى الخبيثة فى استماتة ، إذ لم يكن الشعب الألمـانى فى نظرها مجموع الأحياء اليوم فحسب بل هو الماضى متصلا بالحاضر ثم بالمستقبل. فما كانت الثقافة من عهد كينت إلى إشهارد و باخ وموزارت وڤاجنر وهنريش الأول و بسمارك وتلك السلسلة المتتابعة الحلقات إلا فهرس صحائف الماضى التى تقرؤها الأمة . كذلك سيكون من نبات الحاضر ونشأته من يكمل حلقات السلسلة إلى المستقبل و يربط هذه الحلقات بعضها ببعض برباط الدم و العنصر و توحيد الفكر بما أنجبه الآباء وماخلفوه من تراث مجيد ولقد عملت بعض القوى الخبيثة على فصم حلقات هذه السلسلة وعلى قطع اتصال الماضى بالحاضر والحاضر

بالمستقبل وعلى أن تعوق سير القافلة فى جو من الحرية الفكرية الصحيحة والوطنية العريقة مطلقة القيد . إلى أن قفز هتلر وقبض على الزمام من أعلى قمة هرمه الثابت الوطيد . وهاهى ذى النازية تعبّد طريق المجد للشعب الألمانى ، ولقد ترقبت وترقّب معها الشعب فى اطمئنان ذلك اليوم الذى تقيل فيه النازية المانيا من عثرتها وتأخذ بيدها .



من برينج الى شليشر

وفى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩ كان الجلاء عن المنطقة الثانية المحتلة ، وفى ٣٠ يونيه التالى تم الجلاء عن المنطقة الثالثة . وبهذا لم يبق جندى أجنبى فى الأراضى الألمانية . ولكن فما أغلى مادفعته المانيا وما أبهظ الثمن !. فلقد قبلت المانيا مشروع يونج فجرّت على نفسها خرابا لا يعرف له قرار. وفى ٢٨ مارس سنة ١٩٢٨ كان قد اختار رئيس الجمهورية ، الهر برينج رئيساً للوزارة ، فقام بتنفيذ سياسته التى كان من ورائها خراب الحياة الاقتصادية ومهدت للبؤس والشقاء طرقاً مما لم يسمع به فى سنى الحرب أو فى سنى الانقلاب المشئوم . وذلك مما جره على المانيا دستور فيمار الذى أخذ أمثال برينج على عاتقهم تنفيذه . إذ قامت حكومة برينج الجديدة تمتص جسدالمانيا الاقتصادى وتستنزف ماءه على آخر قطرة. ففى ابتداء سنة ١٩٣٠ ارتفع دين المانيا ٢٥٫٥ مليار مارك وبلغت الفوائد ، بحسب مشروع داوس ، ٢٫٥ مليار والقسط السنوى بعد مشروع يونج ٢٫١ مليار مارك ، أى أن الحالة الاقتصادية فقدت فى سنة واحدة ٤٫٦ مليار مارك . و بذلك أصبح من المستحيل موازنة الحالة الاقتصادية مما أدى إلى هبوط المنتجات الألمانية ٣٢ ٪ أى إلى ما يقرب من ثلثها . واستمر هذا العجز يتزايد فى

سنة ١٩٣٠ و ٣١ و ٣٢ على حين كانت الأسواق الأجنبية ، ولا سيما في انجلترا أو أمريكا ، تشكو من تضخم الإنتاج .

واطرد ازدياد جيش العمال المتعطلين اطراداً مخيفاً . فلقد كان عدد من تعطلوا بسبب ما جرّه دستور ڤيمار من المصائب مائة ألف عامل ضاعفه مر السنين إلى ملايين . ففي نوفمبر سنة ١٩٢٧ كان عددهم ٦٠٥ ألف زاد في ديسمبر إلى ٨٣١ ألف أرغموا على ترك العمل . وفي يناير سنة ١٩٢٩ قفز عدد ذلك الجيش إلى مليونين . وفي الصيف تحسنت الحالة قليلا فهبط إلى ١٤ر١ مليون . ولكنه ما لبث حتى ارتفع « الترمومتر » في يناير سنة ١٩٣٠ إلى رقم مخيف وهو ٣¾ مليون متعطل ، وتلك كانت أولى الثمرات الخبيثة لمشروع يونج . وأخذ العدد يتزايد حتى بلغ في نفس سنة ١٩٣٠، ٤ ملايين عامل ، أي ربع مجموع العمال . وفي ديسمبر سنة ١٩٣١ بلغ عدد العمال المتعطلين ٥ ملايين ، وزاد في سنة ١٩٣٢ إلى ستة ملايين عامل هم قوام جيش حُرِمَ حقّه في الحياة ومُنع عنه الخبز وسُدّت أمامه طرق الشكوى والتظلّم ، فسارت هذه الملايين في الشوارع على غير هدى يهيمون .

خرابٌ في الحالة الاقتصادية ، وبيوع جبْرِية تهدد الفلاح الألماني وتطارده في بيته وفي قريته ، وإفلاسٌ يتلوه إفلاس ، وتدهورٌ في

فى الأسعار أثر تدهور ، ذلك هو الطريق الذى سارت فيه وزارة برينج بالبلاد .

وفى يونية سنة ١٩٣١ طارت الاشاعات السيئة عن تدهور مركز المصارف الألمانية المالى ، مما أدى فى ثلاثة أسابيع إلى سحب مليار و ٣٥٠ مليون مارك ذهب من مصرف الدولة ، وخرجت أموال كثيرة إلى الخارج . وفى يولية أفلس مصرفان من أكبر مصارف ألمانيا معاً وهما المصرف الأهلى ودامشتادتر . واشتدت أزمة المصارف لدرجة أن أقفلت الحكومة الأسواق المالية وعدّلت مواعيد العمل فى المصارف ، وأشرفت على حركة الدفع فيها . على أن ذلك لم يُجْدِ شيئاً وأخذت سلسلة الافلاس سيرها فى اطراد وتعددت البيوع الجبرية فى القرى ، وارتفع عدد المنتحرين بسبب الأزمة الاقتصادية والافلاس ارتفاعاً مُزْعِجاً .

ووضع برينج نُصْب عينيه القضاء على النازى ، أولئك الذين فازوا بستة ملايين وربع مليون صوت ، وحرّض على عدم سريان هذه «الحُمى» فى جسد الأمة ، فحارب صحفهم وحرّم اجتماعاتهم ، ومنع خُطباءهم من الكلام ، واضطهدهم فى كل مكان ، وكان ذلك شغله الشاغل ، إذ كان النازى هم الذين يكافحون سياسته الاقتصادية الخرقاء التى كادت تؤدى بالبلاد إلى الهاوية ، يسوقها إليها الديمقراطيون الاشتراكيون . وفى رغبة

القضاء على النازى بأى ثمن كان ، مدت حكومة برينج وحكومة بروسيا يد المساعدة سخية إلى الشيوعيين الذين كان شعارهم دائما « اضرب الفاشستى أينما وجدته أو قابلته » ، فاذا بهم كالكلاب الكلبة يطلقون النار على النازى العزل من السلاح ، إلا سلاح الايمان واليقين بصحة قضيتهم .

ولم تحرك الحكومة أصبعاً فى أى اعتداء وقع على النازى ، بل كانت عقوبتها لأكبر مذنب من غير النازى فى غاية البساطة ، على حين كانت تنتهز الفرصة للايقاع بكل نازى والحكم عليه بأقصى الأحكام وأطول العقوبات . ففى سنة ١٩٢٩ قتل الحمر سبعة من النازى. وفى مجرى عام ١٩٣٠ قتلوا تسعة عشر منهم. وفى سنة ١٩٣١ قتلوا ٤١ نازيا . ومن يناير إلى سبتمبر سنة ١٩٣٢ ذهب سبعون شخصا ضحية بنادق ومدى وخناجر الشيوعيين .

وإليك مثلا من إجرامهم ما ذهب ضحيته أحد زعماء فرق الهجوم الشاب هورست فسل من مواليد سنة ١٩٠٩ إذ قتلوه وهو قابع فى عقرداره . وسيبقى اسم ذلك الطالب العامل الصغير مسطوراً على صفحات البطولة والوطنية بما قام به من تضحيات خالدة مُهِّد بها و بأمثالها طريقُ النازية يحمل لواءها الزعيم أدولف هتلر ليقودها إلى الخير والحرية . وعلى الرغم مما لقيه النازى من عنت وما قاسوه من اضطهاد . وعلى الرغم من كثرة من

بـ/تطوا عليهم من الشيوعيين وأتباع ماركس، والديمقراطيين وحزب الوسط الكاثوليك وعلى الرغم مما قاساه كاثوليك النازى أنفسهم - على الرغم من ذلك كله ، فان القميص الاسمر أخذ مكانته فوق جسد الأمة ، وأخذ الشعب الألمانى يرى فى هتلر معقِدَ رجائه ومحطَّ آماله فى الأخذ بيده والعمل على أن تتبوأ ألمانيا المركز الخليق بسمعتها فى الماضى والحاضر .

ولقد كانت سنة ١٩٣٢ هى السنة الحاسمة فى حياة النازى ، فلقد أخذ القميص الأسمر يغطى كل شبر، كما أخذ خطباؤه يَغْزون كل مكان . فعُقدت اجتماعاته فى كل قرية ، وأخذت ألمانيا ترى الجرائد والمجلات النازية تصدر فى كثرة لا عهد للبلاد بها من قبل .

وفى ١٣ مارس سنة ١٩٣٢ حلّ موعد الانتخاب لرياسة الجمهورية ، فأخذ الديمقراطيون يروّجون للمارشال هندنبرج و يذيعون فى كلّ مكان أنهم حزب الأمة وأنهم يرشحون المارشال كمرشح الأمة ضد هتلر المرشح الحزبى . ونال النازى ٣ ر١١مليون صوت ضد ٢ر١٨ مليون صوت نالتها الأحزاب الأخرى .

وفى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٢ كان موعد الانتخاب الثانى الذى وقع فى عطلة عيد الفصح . وعلى الرغم من العيد فقد أخذ هتلر يتنقل من بلد لآخر بالطيارة قائماً بالدعاية الانتخابية فى كل مكان حتى بلغ ما ناله النازى ٧ و١٣

مليون صوت . وأخيراً أعيد انتخاب هندنبرج للرياسة . ولقد غمرت الديمقراطيين نشوة سرور وزعموا أنهم بانتخاب هندنبرج قد حازوا نصراً ، وعرت البلاد هزة دهشة عظيمة للفرق الضئيل بين ما ناله هندنبرج من الاصوات وما ناله هتلر .

و بعد ثلاثة أيام من هذا التاريخ عمل برينج، بمشورة وزير الريشسفهر جرونر، فأغلق مكاتب فرق الهجوم وحظر اجتماعاتهم وضيق عليهم الخناق. وقد أخذت نشرات الدعاية ضد النازى تذاع بكثرة، وكانت من بينها نشرة دينية عنوانها « الدين فى خطر ». وفى ٣٠ مايو سنة ١٩٣٢ أقال هندنبرج الهر برينج من منصب المستشار .

على أن الرئيس الشيخ وقد نافسه بالأمس مرشح النازى فى رياسة الجمهورية لم يقنع نفسه بدعوة منافسه إلى منصب المستشار، وما لبث أن عهد به إلى فون بابن . وحالما تبوأ فون بابن مركزه فك فرق الهجوم من عقالها وألغى قيودها ، وعزل كثيراً من كبار ولاة الأمور فى بروسيا الذين كانوا ينظرون بعين الارتياح إلى نمو الروح الشيوعية وتقدمها فى البلاد ولم يعملوا على القضاء عليها . كذلك أخذ فون بابن بصفة كونه قوميسيراً للدولة يُصْلِحُ ما فسد بحكومة بروسيا وأبلى بلاء حسناً فى مؤتمر نزع السلاح بجنيف .

وفى ٣١ يوليه سنة ١٩٣٢ جاء موعد الانتخاب للريشستاخ وخرج

النازى من هذا الانتخاب بثلاثين ومائتى مقعد فى المجلس . وعلى الرغم من ذلك لم تطاوع هندنبرج نفسه أن يدعو زعيم حركة الملايين الألمانية ليتبوأ مركزه على رأس حكومة الجمهورية . ولم يكن لهتلر بُدٌّ من رفض مركز وكيل المستشار فون بابن عند ماعرض عليه،إذ لم يكن يرمى بحركته إلى أن يصير تابعاً خاضعاً لسياسة وزارة فون بابن ، وانتظر هتلر بصبر جميل اليوم الذى يقبض فيه على زمام السلطة . واقترع المجلس ضد فون بابن بـ ٥١٣ صوت ضد ٤٢ ومع ذلك لم ير فون بابن أن ينسحب ، وحلّ المجلس وأعيد الانتخاب ففاز النازى بـ ١٩٢ مقعد . ولقد كان سبب هذا النقص فيما كسبه النازى من المقاعد فى المرة الثانية أن الشعب تعب من تكرار الانتخاب من جهة كما تسرّب اليأس إلى نفوس من اقترعوا لهتلر من جهة أخرى ، إذ لم يروه يدعى إلى تقلد السلطة .

وفى أول ديسمبر سنة ٩٣٢ استقال فون بابن . ولأول مرة دعا رئيس الجمهورية هتلر وعهد إليه بتأليف الوزارة ، ولكن بشروط اضطر معها إلى رفض قبولها ورفض تأليف الوزارة . فعرض هندنبرج على فون بابن أن يؤلف الوزارة بالاشتراك مع فون شليشر ، وانتهى الأمر بشليشر . ولكن لم يكن لدى أية حكومة من القوّة ما تستطيع الوقوف به أمام النازى فى ألمانيا .

وفى ٢٨ يناير سنة ١٩٣٣ استقال شليشر ثم عهد إلى هتلر بتأليف الوزارة.

الثورة الألمانية الوطنية

فى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ وجّه الرئيس هندنبرج إلى هتلر رتبة المستشار، فألّف هتلر وزارة الكثرة الألمانية واندمج تحت لوائها حزب الخوذة الفولاذية والحزب الوطنى الألمانى، فدخل الوزارة زعيم الحزب الوطنى هو جنبرج وزعيم الخوذة الفولاذية زلدتى كوزراء فى الريش، فكانت هذه الوزارة تمثل الوحدة الألمانية أروع تمثيل!

وحيّت الجماهير الهائلة فى نفس اليوم هتلر وأعوانه، ووقف المارشال هندنبرج طيلة أربع ساعات كاملة فى النافذة يهتف الناس له ولهتلر وجورنج وفريك وزلدتى، كذلك غمر الفرح جميع المدائن والقرى. هذا الفرح وكان مبعثه وكيل اونباشى مجهولا وجنديا من جنود الحرب العظمى درج حتى أمسك بزمام قيادة الأمة وزعامتها.

وفى أول فبراير سنة ١٩٣٣ حلّت الحكومة الجديدة الريشستاخ. وكانت ترمى بذلك إلى اقتراع الشعب على الثقة بها ومعرفة مبلغ تعلقه بها فى انتخاب حرّيته مكفولة. وفى نفس اليوم أذاعت الوزارة العتيدة برنامجها على الأمة «إن ماترمى إليه حكومة النازى هو إصلاح الحالة الاقتصادية وعلاجها بمشروعين فى ظرف أربع سنوات وهما: إنقاذ الفلاح الألمانى وتوفير أسباب العيش له، وإنقاذ العامل الألمانى ومكافحة البطالة.

إن حكومة النازى تحمل على عاتقها فى ظرف الأربع السنوات المقبلة بناء ماهُدم فى الأربعة عشر عاماً الماضية » .

وإنْ هى إلا أيامٌ حتى احتجبت عن الوجود حكومة براون وسفيرنج ببروسيا ، وعين هتلر جورنج الطيار المحارب فى الحرب العظمى ومن أقدم أعوانه وزيرا للداخلية فى بروسيا .

ورأت الشيوعية ، التى ترعرعت فى ظل دستور ڤيمار ونمت فى البلاد حتى بلغ أنصارها فى انتخاب نوفمبر سنة ١٩٣٢ حوالى ستة ملايين ، فى هتلر وتوليه السلطة خطراً وعدوًّا يجب التكاتف على القضاء عليه ، فلم يمر يوم دون أن يقتل الشيوعيون من النازى أو يلحقوا بهم ضرًّا . وقبل انتخاب ٢٧ فبراير بأيام أحرقت عصابتهم الآثمة الريشستاخ .

وأخذت الشيوعية تجهد فى مكافحة هتلر ، وقبل أن يضرب واضربتهم الأخيرة بساعات قليلة أراح جورنج الأمة من خطرهم الداهم راحة أبدية ، إذ قبض على زعمائهم ، فسارت حركتهم فى بروسيا ، بلا قادة ولا قيادة ، على ضلال ، ووئدت مؤامرتهم فى مهدها . كذلك عمل رجال فرق الدفاع والهجوم من النازى إلى جانب الشرطة مساعدين لها ، وبذلك تخلصت الأمة الألمانية فى آخر لحظة من الوباء السوفياتى وقضت عليه . وقد أفردنا له فصلا كاملا فى هذا الكتاب .

وفى ٥ مارس أعطى الشعب الألمانى صوته ، فحصل النازى على ٠٠٠ و٢٦٤ و ١٧ صوتاً أى ٤٤٪ من مجموع الأصوات أى ٢٨٨ مقعداً تمثل هتلر وحركته فى مجلس الريشستاخ . وفاز من كافحوا لنصرة الراية الأمبراطورية ذى الثلاثة الألوان (الأسود والأبيض والأحمر) من أصحاب الخوذة الفولاذية والوطنيين بـ ٠٠٠ و١٣٠ و٣ صوت أى ٨ ٪ من مجموع الأصوات أى ٥٢ مقعداً برلمانياً ، وبذلك نال النازى الكثرة بـ ٣٥ صوتا .

وهكذا قفز عدد أنصار الحركة الاشتراكية الوطنية من سبعة إلى سبعة عشر مليوناً من الأنصار فى مدى أربعة عشر عاماً . دعم ذلك كله على مدى الأربعة عشر عاماً خمسون وثلثمائة نفس زكية ذهبت فى سبيل نصرة الحركة ، عدا عشرات الألوف ممن لحقت بهم أضرار جسيمة وألقوا فى غيابات السجون والمعتقلات مما أعدّه دستور ڤيمار للوطنيين الصادقين ولكل من جهر بحب الوطن فى ألمانيا .

وعمت الثورة النازية وطفت أمواجها فى كل مكان ، فقام الشعب يزيل الحكومات الصغيرة التى بقيت من آثار الماضى المؤلم مثل حكومات هسن وسكسونيا وبادن وإيرتمبرج وباڤاريا وهنزستاتن ، ووضعت فرق الهجوم المسلحة يدها على تلك الحكومات . كذلك عُزل أكثر العمد

وأخذت الحكومة فى مطاردة أولياء ماركس والديموقراطيين الاشتراكيين. وأفسدت ما رسموه من الخطط لقلب حكومة هتلر ، وصادرت ما يمتلكونه من أسلحة وذخائر ، وقبضت على زعمائهم وقادتهم وألقتهم فى السجون ، وعطّلت صحفهم واحتلت فرق الدفاع والهجوم دورها . فما كانت إلاّ أيام حتى كان الصليب المعقوف يرفرف مع راية الأمبراطورية ،راية لبسمارك ، ذات الثلاثة الألوان (الأسود والأبيض والأحمر) على كل مكان ، فلقد قبض القوميسير النازى للجمهورية على السلطة فى كل مكان.

ولقد كان القضاء على الماركسية وأوليائها وتغيير دستور الحكومة مظهراً قويا من مظاهر اشتراك الشعب فى ثورة النازى وتكانفه فيها . على أن ذلك كان من آثار الثقة التامة التى لا تتزعزع بالمستقبل العظيم . وضربت الأمة ضربتها فقضت على ذلك المرض الذى لازمها أربعة عشر عاماً ، كما قضت على كل آثار هذا الماضى الملىء بالنوائب والكوارث .

وفى ١٢ مارس سنة ١٩٣٣ أيّد هندنبرج الثورة وقرّر أن يرفع العلم الأمبراطورى والعلم النازى معا فوق أنحاء ألمانيا . « هذان العلمان » كما قال هندنبرج « رمز لارتباط ماضى الأمبراطورية الألمانية المجيد بنهضة الأمة القوية المؤتلفة الحديثة » . ولقد أقيمت الأفراح بانتصار

الاشتراكيـة الوطنيـة ثلاثة أيام ، كنت ترى فيهـا على وجوه الشعب علامات الثقة المقرونة باليقين فى المستقبل البـاهر المنتظر على أيدى القائمين بالأمر فيه. كذلك كان يوم بوتسدام ٢١ مارس سنة ١٩٣٣ اليوم السعيد لمولد ألمانيا الجديدة . فكنيسة حامية بوتسدام تضم رفات ملـكين عظيمين جليلى الشأن تدين لهما بروسيا بأجل الخدمات وتقرّ لهما بالجميل وهما فردريك ولهلم الأول الذى خلق جيش بروسيا ونظم حكومتها ، وفردريك الأكبر الذى ، والدنيا بأجمعها تعاديه وتعادى بروسيا فى شخصه ، جعل من بروسيا مملكة قوية مهابة . كذلك طبعت بوتسدام بطابعهما وتقمصت روحيهما ، فكان يوماً جددت فيه النازية والبروسية اعترافهما بالجميل والخدم الجليلة التى قُدِّمت للبلاد ، واستعرضت التاريخ من عهد فردريك الأكبر البروسى إلى امبراطورية بسمارك ومن أمبراطورية بسمارك إلى الريش الألمانى الثالث . فاحتشدت الجموع الغفيرة ووقفت فى صمت ، كأن على رءوسها الطير ، فى تلك اللحظة الرهيبة تنتظر رئيس الجمهورية الشيخ وتنتظر معه افتتاح الريشستاخ فى كنيسة حامية بوتسدام ، ذلك الحادث المنقطع النظير ذو المغزى الكبير الذى كان له أبلغ الأثر فى نفوس الأمة .

ألا إنه جيلٌ بأكمله وتاريخ كله مفاخر ذلك الرئيس الشيخ ! فهو بعينه

الملازم هندنبرج ممن عبدوا طريق النصر وساروا فى قافلة الفوز القاهرة الى فرنسا ، وهو بعينه الضابط هندنبرج من فرسان الملك الذى حضر اعلان امبراطورية بسمارك ، وهو بعينه القائد الأكبر بل أعظم جندى فى الحرب العالميـة بلا منازع ، هو الذى بقى فى ميدان الوطنية الألمانيـة بعد انقلاب سنة ١٩١٨ يقوم بواجبه نحو وطنه أربعة عشر عاماً بعد الحرب رغم ماواجهه من الصعاب . . . أجل هو هندنبرج نفسه ، وهى بوتسدام نفسها ، وهى بروسيا نفسها شهدت معه صفحة الماضى المجيد وتشهده اليوم يحيّ الريشستاخ ويعطى الكلمة لزعيم ألمانيا الشابة « أدولف هتلر » الذى جمع الماضى والمستقبل فيما وجّهه إلى الريشستاخ . « لقد كان انقلاب سنة ١٩١٨ نهاية نزاع أُرغِمتْ ألمانيا على أن تزج بنفسها فيه دفاعاً عن كيانها وحريتها وحقّها فى الحياة . فما رغب القيصر أو الحكومة أو الأمة فى هذه الحرب . ولكن استسلام الحكومة هو الذى جعل العالم يحملنا تبعة الحرب . ولقد أدى هذا الاستسلام إلى تفكك فى الحالة الاقتصادية والسياسية والخلقية مما ساق الأمة إلى الحضيض ، بل أدى إلى أكثر من ذلك ، إلى فتور العزيمة وفقدان الثقة حتى بأنفسنا . إن ما نعمل له ونرجوه توحيد صفوفنا وأفكارنا لتحقيق رغبات الأمة وآمالها . نريد أن نعيد

بناء المجتمع الألمانى بناءا قويا، وأن يكون تكوينه من العناصر الألمانية الصميمة، من أصحاب المهن والحرف، وجميع الطبقات — نريد أن نهيء الأسباب لمستقبل حسن، وأن تكون الحياة المقبلة رغدة للفلاح وللعامل، ولأهل القرى وأهل المدن، لمن يعمل بيده ومن يعمل بعقله».

واقترع مجلس الريشستاخ للحكومة الجديدة فى ٢٣ مارس فنالت الثقة بـ٤٤١ صوت ضد ٩٢ صوت كان أصحابها من الديمقراطيين الاشتراكيين الذين خدعوا البلاد بوعودهم الخلابة. فكان ذلك نصراً عظيما ظفرت به الثورة. ومنح رئيس الجمهورية هندنبرج، المستشار هتلر سلطة واسعة، فأصبح قومسيراً عاماً لجميع الأراضى الألمانية والمتصرف المطلق فيها.

وحل أول مايو، فاذا بالبلاد تحتفل حكومة وشعباً بذلك اليوم فى مظهر لم يسبق له مثيل، وكان شعارها تمجيد العامل وإجلاله، فسار الموكب وسار فيه جنباً لجنب العامل والمهندس والمعلم والقاضى والطبيب. فكان تعارف وامتزاج بين طبقات الأمة المختلفة، بين من يعمل برأسه ومن يعمل بيده.

وفى اليوم التالى وُجّهت الضربة القاضية إلى أولياء ماركس الذين حاولوا القيام باضطرابات، فقُبض على زعمائهم واحتلّت فرق الهجوم ماسموه باتحاد مجالس التجارة ومصارف العمال. وأخذ العمال ينضمون بعد

ذلك فى جموع غفيرة إلى النازى ، وحذا حذوهم الفلاحون ، إذ رأوا جميعاً فى النازية المنقذ الأعظم . كذلك أقبلت الجامعات والمدارس تستجيب لنداء النازية ورسالتها وثقافتها . وقام الدكتور جوبلز ، وزير الدعاية فى وزارة هتلر ، بما حمل من عبء وغمر العالم بدعايات النازى ونشراتها فى كل مكان . كذلك قامت النازية برسالتها الرياضية وأنشأت روابط بين الشباب ، بعد ما أبعدَتْ عن الأمة وأبنائها الماركسيةَ وأولياءها وويلاتها ، وأخذت تثقفهم وتعدُّ منهم للمستقبل عدة ألمانية صميمة تربطها روابط وثيقة لا تنفصم .وأخذت النازية تتتبع مصادر الضرر والفساد ، فتقصيها عن القرى والأمصار حتى تجتث جذور نبات السوء من الحقل الألمانى .

وفى ٧ ابريل صدر قانون بتحديد مناصب الدولة والذين تسند إليهم. فنص على إبعاد كل موظف التحق بوظيفته بعد أغسطس سنة ١٩١٤ وثبت أنه من جنس غير آرى ، ولا سيما إذا كان يهوديا . وشمل هذا القانون القاضى والمدرس وأستاذ الجامعة والطبيب ، واستثنى منهم الذين اشتركوا فى صفوف المانيا فى الحرب العظمى ، ومن لهم أولاد أو آباء اشتركوا فيها . كذلك منعت الحكومة أى مهاجرة جديدة إلى ألمانيا . وعلى الجملة فقد أجريت عملية تطهير عامة . ثم صدر قانون يَفْرِض أشدّ العقاب على من يقومون بالتلاعب المالى أو الاقتصادى ، إذ نَصَّت حكومة الثورة

فى برنامجها على معاونة الفلاح وتثبيت مركزه ، وحل مشكلة العمال العاطلين فعملت على حماية الرهونات العقارية من الضياع وحماية الفلاح من الربا الفاحش مع مراعاة عدم ارهاقه فى العمل فوق طاقته . فأَمِنَتْ بذلك القرى وأمِن الفلاح على محصولاته أن تتلاعب بها الأيدى فتباع بأبخس الأثمان . ثم وجّهت الحكومة شطراً عظيما من عنايتها إلى العامل الألمانى وجدّت فى تقديم المساعدة المادية إليه ، فبدأت بأصحاب الأسر منهم ، ووجهت أنظار النساء العاملات إلى الزواج وحببته إليهن وعاونتهن عليه ، فخلت بذلك مراكز فى العمل عدّة . وما فتئت الحكومة تمهد للعمال طريق العمل حتى تمكن هتلر بعد ستة شهور من توليه الحكم من إيجاد عمل لمليونى عامل ألمانى . لقد شتّتت حكومة بريوننج العمال وحلّت ما ألفوه من نقابات تسهر على شؤونهم ، فما أن جاءت الثورة وحكومتها حتى اهتمت بهم اهتماماً كبيراً وعملت زعامتها على الأخذ بيدهم والسهر على شؤونهم ، فأعلن هتلر فى أول مايو أى فى عيد العمال ، وهى فرصة مناسبة، أنه يرى مسألتهم من أقدس واجباته التى يضعها فى المرتبة الأولى من العناية وعملت النازية على محو نظام الطبقات ، كما حَمَت الطفل الحدث من الأعمال المرهقة ، وأخذت في تجفيف المستنقعات وفتح الطرق فى جميع أنحاء البلاد مما خفّف وطأة العمال العاطلين . كذلك قامت جمعيات الطلبة بنصيبها

فى هذا الواجب الوطنى مساهمة فى تثقيف العمال فى عطلة صيف سنة ١٩٣٣ :

وسارت حكومة الثورة إلى الأمام يتبعها الشعب فى طاعة لم ترغمه عليها . وإنما كانت انتخابات مارس وما نالته الحكومة من كثرة عظيمة الدليل الأكبر على تعلق الشعب بحكومة الثورة الاشتراكية الوطنية .
ولسنا ننكر أنه قد اعتُقِلَ عدد قليل لايزيد عن ١٨ ألفاً من اليهود وأولياء ماركس الذين منهم من هربوا من البلاد وطاروا باشاعات باطلة وأكاذيب يروجونها ، فنسبوا إلى أصحاب القمصان السمراء آثاماً اتهموهم بها ظلما وعدوانا ، وجددوا الاشاعات السيئة التى كانت تُدَسُّ على ألمانيا أثناء الحرب . وكانوا يرمون من وراء هذه الدعاية إلى مقاطعة البضائع الألمانية ومحاربتها ، مما اضطر حكومة النازى إلى أن تحدد يوم أول ابريل لمقاطعة البضائع والمتاجر اليهودية . (وسنتناول فى فصل خاص الكلام على اليهود) .

وتأثرت السياسة الألمانية الخارجية بعض الشىء بمهاجمة اليهود وأنصار ماركس ، أولئك الذين عملوا فى خلال الأربعة عشر عاما الماضية على توهين المانيا وإضعافها ، إلى أن جاء هتلر فعمل على تقوية المانيا وإعادة بناء (الريش) الأمبراطورية فكان ذلك قذى فى عيونهم وعيون أعداء المانيا.

ولقد كانت فرنسا تنظر إلى الثورة النازية بعين القلق ، فما كادت

تنضم فِرَقُ الهجوم إلى البوليس الرسمى لمعاونتـه حتى اتخذت فرنسا من ذلك ذريعة إلى أن تعلن للعالم فى صخب أنّ فى هذا العمل خرقٌ لمعاهدة فرساي وأنّه ضربٌ من التسلح ، مما تحرّمه المعاهدة على المانيا . وانبرت فى مؤتمر السلاح تعلن أن المانيا النازية خطرٌ يهدد السلام العالمى . وكان رد هتلر على هـذا الاتهام أن دعا الريشستاخ من عطلته للاجتماع فى ١٧ مايو فى برلين وأعلن « ان حكومة الثورة مع ماتراه فى معاهدة فرساي من حيف لها ، لاتفكر فى إثارة حرب بسببها أو بسبب تنفيذها ، إذ أن المانيا تعتقد أن الحرب المقبلة سيخرج منها الغالب وليس بأفضل من المغلوب ، وأن النّصفة هى خير مايؤدى إلى تحسين الموقف الأوربى . كذلك ليس لدى المانيا رغبة فى التسلح ولـكنها تودّ أن ينزع سلاح الآخرين الذين يرون أن لهم بسبب معاهدة فرساي مركزاً يخوّلهم حق الرقابة على المـانيا . وإذا كانت هناك أمةٌ ترى سلامتها مهددة فى كل حين بأى غزو فتلك هى الأمة الألمـانية . وإذا أصرّت الأمم الأخرى على عدم نزع سلاحها وخفضه فان المانيا ترى لزاماً عليها لأجل سلامتها ، أن تطلب حقها فى التسـلح » .

ذلك كان رد هتلر فى ١٧ مايو على ما اتُّهم به النازى من رغبة فى إثارة الحرب . فان أهمّ ماترمى اليه سياسة النازى الخارجية تقوية دعائم

السلام فى أوربا . وكان من الأدلة على حسن نيات ألمانيا أنها وقعت بلا تردد تلك المعاهدة التى اقترحها موسولينى زعيم إيطاليا واشترك فى توقيعها الأربع الدول العظمى « انجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا » فى ١٥ يولية سنة ١٩٣٣ وهى تنص على أن تتضامن القوى الأربع فى العمل على بقاء السلام فى أوروبا عشر سنوات كما تتكاتف على نجاح مؤتمر نزع السلاح . فما كانت السياسة الخارجية الألمانية ترمى إلى غير السلام ونزع السلاح وتنقيح معاهدة الصلح .

ثم سايرت السياسة الخارجية الألمانية بعد ذلك الميثاق الرباعى بنجاح . غير أن حزب الحكومة فى النمسا عمل على فتح ثغرة كبيرة تفصل العنصر الألمانى فى النمسا عن الوحدة الألمانية — فى الوقت الذى سرت فيه الحركة النازية بين ألمان منطقة الألب بنجاح كبير — إذ جرى انتخاب فى النمسا ففاز النازى فوزاً عظيما . فما كان من دولفوس مستشار النمسا إلا أن ضرب بذلك الفوز عرض الحائط وعَمِل على القضاء على النازى بأى ثمن ، فعطّل صحفهم ومنع اتصالهم بألمانيا وحظر اجتماعاتهم ومنعهم من حمل شارة الصليب المعقوف أو الراية الأمبراطورية . وجاوبت الحكومة الألمانية على ذلك بمنع السفر إلى النمسا ومنع السائحين الألمان من انعاش أسواقها .

ولم يكن اضطهاد دولفوس لنازيى النمسا ليثنى من عزمهم ، بل كان الأمل بالفوز يحدوهم إلى انتظار ساعة النصر معتمدين فى ذلك على كثرة الشعب النمساوى المشبع بالروح الألمانية .

و بينما كانت الحالة كذلك فى النمسا ، إذا بالنازى فى دنزيج يكتب لهم النصر فى انتخاب ٢٨ مايو ، فان الحركة النازية سارت هناك تبغى الانضمام إلى الوحدة الألمانية بعد أن اضطُرّت المدينة أن تبقى مستقلة تحكم نفسها .

وقبض النازى على مقاليد السلطة ، وساروا بسياسة حكيمة متحدة كانت وليدة ثورتهم . و بظهور حزب العمال الوطنى الاشتراكى الألمانى منتصراً اختفت الأحزاب السياسية التى كانت تعملُ على تفكك الوحدة الألمانية . فكانت ثورة النازى بمثابة القضاء على تلك الأحزاب . فالحزب الشيوعى حُلّ بعد انتخاب ٥ مارس للريشستاخ ، وفى ٢٢ يولية كان مصير الحزب الديمقراطى الاشتراكى نفس مصير الحزب الشيوعى ، واندمج حزب الخوذة الفولاذية والحزب الوطنى نهائياً فى النازى . وفى ٥ يولية حل آخر الاحزاب الكبيرة وهو حزب الوسط . و بحله اختفى عامل قوىّ من عوامل التحزّب الدينى . وفى ١٤ يولية صدر قانون يحرّم تأسيس أحزاب أو إعادتها ، وهدد بأشد العقاب كل من تحدثه نفسه بانشاء حزب

جديد ، إذ يُعد ذلك تحدّياً لحزب العمال الوطنى الاشتراكى الألمانى الذى وَحّد جميع الجهود والقوى للنهوض بالمانيا . ولقد كان ذلك التوحيد الحجر الأساسى فى بناء المملكة ، وبذلك أصبح المستشار ورئيس الوزارة فى شخص هتلر ، صاحب السلطة المطلقة على جميع المقاطعات الألمانية بما فيها بروسيا .

لقد قاد هتلر الثورة وبدأ الكفاح لمستقبل زاهر لألمانيا « ولا تنتهى هذه الثورة إلا عند ماتستعيد المانيا فى الخارج والداخل عظمتها وسالف مجدها كاملين »



المسألة اليهودية

لانكتفى فى هذا الباب بالكلام على اليهود فى المانيا فقط ، بل سنذكر لمحة عن تاريخهم فى عصور وشعوب مختلفة . فهم ضيف كل أمة وإن أتوا دائما غير مدعوين ، إذ لم نسمع ببلد رحب بهم أو ارتاح لاقامتهم فيه أو أسف لرحيلهم عنه .

ماذا فى برنامج هتلر عن اليهود

تقول المادة الرابعة فى برنامج هتلر « لايتمتع بالحقوق المدنية كاملة فى ألمانيا إلا من كانت تجرى فى عروقه الدماء الألمانية بلا أدنى ريبة أو اشتباه فى اثبات ذلك . ولذا فليس لأى يهودى الحق فى التمتع بهذه الامتيازات »

ومَرَدّ الأمر فى حرمان اليهودى من التمتع بهــذه الامتيازات ليس إلى دينه . فانه إذا نطقنا بلفظ « يهودى » فلسنا نعنى بذلك أو تعنى الكلمة اتجاهاً دينياً أو فئة دينية إذ أن مدلول اللفظ يدل على جزء من شعب بل جزء من عنصر يثبته التاريخ فى كل آن ومكان . و بما أن اليهود الذين اعتنقوا الأديان الأخرى حديثاً لاتزال تربطهم باليهودية رابطة الدم ، فما لنا لانعتبرهم يهودا !

وعند ما نقول انهم جزء من شعب آخر وعنصر آخر وانه ليس لهم الحق فى التمتع بما يتمتع به أبناء البلد الذى يعيشون فيه ، نرجع بالذاكرة إلى التاريخ القديم فنقول انه لم يتمتع يهودى بالحقوق المدنية لا فى بابل ولا فى اسكندرية ولا فى اليونان ولا فى رومية ولا فى أية ولاية مسيحية ولا ثبت ذلك فى أحاديث الرومان أو السلاف أو بين الشعوب الاسلاميـة ـ ولا نكون مبالغين إذا قلنا أنهم كانوا كذلك بين قدماء المصريين .

وتنص المادة الخامسة فى البرنامج على أنه من لم يكن من أبناء المانيا فيمكنه أن يعيش فى المانيا كضيف خاضعاً للقوانين الخاصة بالأجانب .

وتقول المادة السادسة والسابعة والثامنة :. إن مناصب الدولة مهما كانت يجب أن يملأها أبناء الوطن ولو أدى ذلك إلى إبعاد الموظفين الأجانب فى ولايات الدولة عن مناصبهم . وكذا تنص على وقف المهاجرة إلى المانيا ومنعها ، و إرغام كل من هاجر إلى المانيا بعد ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ على الرحيل عنها .

على أن تلك النصوص لاتعنى اليهود أو تخصهم وحدهم ، و إن كانت تتناولهم كما تتناول الزنجى من ليبريا والمنغولى من آسيا .

و إذا ألقيت نظرة على الوطن القومى لليهود فى فلسطين ،تجدهم أنفسهم لا يسندون إلى كائن من كان من غير اليهود أى وظيفة عندهم .

وتنص المادة السابعة عشرة من البرنامج على إنزال أشد العقاب بأولئك الذين يقاسى الشعب من استغلالهم له ، كالمرابين وأمثالهم ، من غير نظر إلى عقيدة أو جنسية . إذاً فما جريرة الألمان إذا كان من اليهود من دأبهم جمع المال بهذه الطريقة والاثراء من وراء هذا الاستغلال السيء ؟ !

وتطالب المادة الثامنة والعشرون من البرنامج بأن يكون رؤساء الجرائد والمجلات من أبناء البلاد ، وتطالب بمصادرة الجرائد التى تحارب الأمة . ولقد لعب النشر اليهودى فى ألمانيا دوراً معروفاً لم يكن له دواء ناجع سوى القضاء عليه .

على أن المادة الرابعة والعشرين تنص على كفالة حرية الأديان والمساواة بين العقائد ما دامت لا تتعارض مع مصالح الشعب أو أخلاقه أو حقوقه أو العنصر الجرمانى ، وهناك من اليهود من انضموا إلى شِيَعٍ وأحزاب أخرى ، ولعبوا أدواراً مكنتهم من بعض مراكز الزعامة ، ومنهم من توسل إلى ذلك باعتناق أديان أخرى ولكن حزب النازى قد أغلق بابه فى وجوههم ذاكراً سبب ذلك فى برنامجه ، وهو لا يرجع لشخصهم بل لروحهم الذى لا تتفق مع شعاره القائل بتفانى الفرد فى مصلحة المجموع ، ذلك الشعار الذى لا يتفق مع روحهم المادية اليهودية ولا مع آثام الفوائد الباهظة

ولا الاحتكار ولا الاستغلال ولا تحكم الذهب . ومع أننا نعترف بأن النازى من أنصار كراهية اليهود ومكافحتهم « Antisemit » إلا أن معاداتهم لهم يمكن اعتبارها من الصنف العادى إذ لم يفتأوا يعاملونهم تجاريا حتى فى أتفه الأشياء مثل البكر والمناديل وما أشبه ، إذ أن النازى لم ينشأوا على كراهية اليهود ، بل اليهود هم الذين أكرهوهم عليها .

أدولف هتلر واليهود

شغل هتلر نفسه وقتاً طويلا بالمسألة اليهودية وهو فى فينا ، فكان يقرأ كل مطبوعات أنصار مكافحة اليهود فى شرق أوربا «Antisemitesmus» ويراقب أحوالهم ويمحصها بنفسه . على أنه لم يكن فى المبدأ يصدق هذا الاسراف فى التهم الموجهة إلى اليهود ، فلم يكن يؤمن أو يتصور أن اليهودى ، وهو الذى يريد أن يعتبر نفسه جزءاً من الشعب الذى يعيش فيه ، يعتبر خطراً فى الواقع مخيفاً . ولقد استمر هتلر فى مراقبته فآمن بما لم يكن يصدقه ، ورأى ما لم يكن يتصوره ، إذ أحس بالحركة اليهودية فى فينا تطغى على الروح الشعبية . وكانت هذه الحركة اليهودية فى الواقع أقوى منها فى برلين وميونيخ ، إذ رأى أحياءا كاملة تصبغها صبغة يهودية محضة ، ممتلئة بيهود الشرق أصحاب القفاطين . وكان فى هذا الوقت أن

أخذت تنمو حركة مكافحة اليهود في شرق أوربا . وأول من أسس هذه الحركة في ڤينا هو « فون شوينرر » وأول من سار بها من الأحزاب هو الحزب الاشتراكي المسيحي الذي كان يرأسه الدكتور لويجنر عمدة ڤينا السابق الذي نمت في ظله الحركة وكثر أنصارها .

وخرج هتلر من مراقبته للحالة في ڤينا بالنتائج الآتية : « إذا اختبر الانسان أي حالة من الحالات التي يعمل فيها على هدم كيان الأمة ، فانه يجد ليهودي يداً فيها . . . . فني الصحافة والسينما والمسرح في النمسا يسمع الانسان أسماء يهودية لاحصر لها ، كما كان تسعة أعشار مايسمونه بالأدب المكشوف يدبجه يراع اليهود ، فضلا عما يعرضونه من مبتذل الفن ورخيصه في دور التمثيل» . ومن ذلك الوقت لم يعد هتلر ـ كما يقول ـ يتجنب السؤال اليهودي والمناقشة فيه بل كان يدلي بما أسلف في صراحة وتأكيد .

ولقد كشف هتلر القناع وأبان للناس كيف يسيطر اليهود على صحف الديمقراطيين الاشتراكيين وكيف يصدّرونها بأنفسهم ، فمنهم كان المديرون ورؤساء التحرير، كما كانوا يحررون نشرات الحزب السياسية . فما كان رجال الديمقراطيين الاشتراكيين إلا ألعوبة في أيدي اليهود . ولاحظ هتلر نفس هذه الحالة مع أولياء ماركس ، فقدّر الخطر الذي يهدد الشعب الألماني من جراء ذلك . وبدأ يفكر في إنقاذ الشعب من هذا الخطر ومواجهته له .

وكشف هتلر ببحثه كيف يحصل اليهودى على مركزقوى بين العمال ، فكانت نتيجة بحثه أنه رأى اليهودى يعمد إلى كسب ثقة العامل متظاهراً بالعطف عليه إذ يشرح له ما هو فيه من تعاسة وشقاء ، ويواسيه ببضع كلمات جوفاء ، حتى إذا ما وثق به واطمأن إليـه ، أمسك بزمامه ودفعه ضد أولئك الذين أصابهم فى الحياة حظ فأصبحوا فى يسار ، فى حرب شعواء قد أحكم تدبيرها .

فاليهودى هو الذى أسس مذهب ماركس ووضع تعاليمه المملوءة كراهية للبشر والتى تعمل على هدم الانسانية .

واستمد أدولف هتلر من بحثه ومراقبته ما وضعه فى برنامج النازى خاصا باليهود وخرج من ذلك كله بأن اليهود شعب وعنصر مستقل .

التشريع اليهودى

إنّ فلسطين هى أول إقليم ظهر فيه اليهود لأول مرة فى التاريخ وتكوّنوا فيه كشعب . ولقد لبث تاريخهم مجهولا حتى بداية القرن التاسع عشر إلا ما ذكر عنهم فى العهد القديم . وبقيت الحالة كذلك إلى أن عُثِر على مصادر جديدة فيما اكتُشِف من مكاتبات تلّ العمارية فقد وجد فيها لفظ « العبرانيين » لأول مرة دالاّ على أهل البادية . هـذا عدا

ماعرف من أخبار مصرية قديمة وحفريات فى فلسطين نفسها . على أنه لا يمكننا فى هذا المجال الأدلاء بتاريخ اليهود تفصيلاً ، ولكنا نقول إن فلسطين قبل القرن الخامس قبل الميلاد ، أى قبل الوقت الذى وضع فيه إسرا ونعمياس التشريع الأساسى لليهود ، لم تكن لها وحدة شعبية . فعلى الرغم من إقامة دعائم السيادة العبرانية بها فانها لم تكن كافية لصبغها بصبغتها ، إذ أن المعروف أنه حتى زمن النبى يوشع سكنت فلسطين شعوب مختلفة .

وابتدأت فلسطين تُصَبغ بصبغة يهودية منذ وقت النفى البابلى (٥٨٦ — ٥٣٦ ق م) على أنّ معظم العنصر السائد آنئذ كان من أهل الشمال .

ففى بابل كوّن اليهود فئة صار بما لها من الثروة نفوذ كبير . ولقد عرفوا كيف يستفيدون من نجم الميديين الصاعد ومن الملك قارون (كيروس) الذى برهن لهم بما منحهم من خدمات على محبته لهم وعطفه عليهم ، إذ سمح لعدد وفير من اليهود بالعودة إلى فلسطين وإعادة بناء معبدهم فى ٥٣٨ ق م . وفى سنة ٤٤٥ ق. م اذن لهم بتجديد بناء أورشليم ، فقاموا بذلك تحت اشراف نعمياس الذى أرسله الملك الفارسى اردارا الأول محافظاً على أورشليم وفى سنة ٤٣٠ ق . م سُمح لستة آلاف يهودى بينهم ألف وثمانمائة من

الرجال الأشدّاء بالعودة من بابل إلى وطنهم فلسطين . وبوساطة الكاهن إسرا مؤتلفا مع نعمياس يحميه ويرعاه ، وُضع التشريع اليهودى . وإن اليهود لينظرون إلى إسرا نظرتهم إلى من أعاد بناء مجدهم ومجد الشعب اليهودى . فلا عجب أن اعتبروه بحق خليفة موسى الخليق بهذه الخلافة . .

فقد خلق هذا التشريع الشعب اليهودى من ذلك الوقت . ويُلزم هذا التشريع كل يهودى ألاّ يتزوج بغير يهودية ، كما نص على أن كل امرأة أجنبية العنصر لا تدخل هى وأبناؤها فى حظيرة الشعب اليهودى أو تعتبر منه .

ومنذ وُضع التشريع المذكور والذى يعتبر حجر الأساس فى تكوين الوحدة الشعبية لليهود ، لم يتزوج يهودى بغير يهودية ، إلا فى النادر القليل .

وبينما يُلزم هذا التشريع الرجل اليهودى بألاّ يتزوج من غير يهودية حفظاً للنسل ، كان يسمح للفتاة اليهودية بالاختلاط والارتباط بالرجال الأجانب برباط الزواج ولقد تمكن اليهود بوساطة اليهودية « Esther » عشيقة الملك الفارسى «أهاسفيروس» من منع وقوع المذبحة التى كان أعدّها وزيره لليهود ، بل كانت النتيجة أن شُنِق الوزير ورجاله فى نفس المشانق التى كان أعدها لليهود ، مما جعل اليهود يضعون «إستر» فى مصاف القديسين.

وإن مثل هذا الاختلاط جعل الدم اليهودى يتسرب إلى عروق الشعوب الأخرى دون أن يكون للدماء الأجنبية سبيل إليه .

مغزى التشريع وأثره

وأحاط هذا التشريع اليهود بسياج لم يجعل لأى عنصر غريب عنهم سبيلا إلى الامتزاج بهم ، فكانت نتيجة هذا التشريع أن أصبح اليهود كأنهم أسرة واحدة لا يصاهر بعضها إلا بعضاً . ولقد سبق عهد إسرا نحو من سبعين أو مائة قبيلة كان يتزوج فيها اليهودى وهو فى الثالثة عشرة من عمره،ويلزم بذلك فى الثامنة عشرة . ولو اتبعوا هذه الطريقة ولم ينكبوا بمثل ما كانوا ينكبون به لغمروا وجه الأرض بنسلهم .

وإن اختلاف سحنهم وهيئاتهم ليؤيد النظرية القائلة بأن اليهود وهم متناثرون فى العالمين ليسوا بشعب ذى وحدة ، وإنما هم أسرة لا يصاهر بعضها إلا بعضاً .

ولقد أعملوا عقولهم فى استعباد الناس بقوة ذهبهم فى مختلف العصور والبلدان مما يستدعى الجهد الكبير للتخلص من استعبادهم . والدليل على أنهم يعيشون كأنهم أسرة واحدة مؤتلفة أنهم فضلا عن تكانفهم فى مصائبهم ، تراهم يتشابهون فى الخلال الاجتماعية جميعاً ، فهم يحسنون عرض بضائعهم، ويتملقون، فى حنكة كبيرة ، الشخصيات التى يرمون من ورائها نفعاً . كما أنهم جميعاً لا يتوانون فى استعمال قوة ذهبهم الهائلة

بلا رحمة أو هوادة ، حتى لقد توصل بها كثير من المجرمين اليهود إلى التخلص من العقاب .

إن تشريع إسرا ونعمياس وقد أحاط اليهود بسياجه من سنة ٤٣٠ ق . م أى منذ أكثر من ألفى سنة مع مالهم من مميزات وخصائص مختلفة عن الشعوب الأخرى . كل ذلك أثار عليهم كراهية لم تثر على شعب من الشعوب .

بنو اسرائيل حتى نهاية القرون الوسطى

بينّا فيما سلف أن اليهود لم يكن لهم قبل وضع تشريعهم تاريخ معروف . ولم نجد فيما بين أيدينا من مصادر التاريخ ما يخرج اليهود من بين الشعوب السامية أو يدل عليهم . ولم يكن الختان الذى كان شارة اليهود ليدل عليهم فى ذلك العهد فانه لم يعرف إلا إبان النفى البابلى سنة ٥٢٠ ق . م . إذ كان يعتبر من الأمور المقدسة ، فلم يجمع الشعب اليهودى على احتجاج قام به فى ضجة كبيرة مثل إجماعه على ماقام به من احتجاج ضد انتيوخوس المقدونى حين حظر عليهم الختان . وصنع صنيعه بعد حين نادر يانس فقابله اليهود باستيا وثورة . وكلما تقدم بهم الزمان ازدادوا تمسكا بتشريع إسرا ونعمياس . ومكث اليهود منذ سمح لهم بتجديد معابد سليمان

واعادة بناء أورشليم تحت حكم الميديين ثم الفرس ثم المقدونيين ، حتى أثار انتيوخوس المقدونى ، بحظره الختان وشعائر يهودية أخرى،ثورة فى فلسطين قادها المكابيون ، وكانوا يبغون من ورائها استقلال فلسطين ، ونجحوا فى ذلك . وبقيت لهم مملكة مستقلة فى فلسطين من سنة ١٦٨ إلى سنة ٦٣ ق . م .

وفى سنة ٦٣ ق . م . استولى الرومان على فلسطين ، وتعهدوا لليهود بكفالة حريتهم بل منحوا محافظ المدينة Herodes اليهودى لقباً ملكياً وتركوه يؤسس أسرة حاكمة حكمت حتى سنة ٤٤ بعد الميلاد وكانت على أحسن العلائق مع رومية . وفى سنة ٧٠ ميلادية فتح Titus أورشليم ، فغادر فلسطين كثرة من اليهود تشتتت فى أنحاء العالم . ولذلك تعتبر سنة ٧٠ ميلادية ابتداء التشتت العالمى لليهود . ومنذ ذلك الوقت أخذ اليهود يستدرون عطف العالم مطالبين بوطنهم القومى زاعمين أنهم طردوا منه عنوة . وقد انتشروا فى العالمين بمتاجرهم وأعمالهم، حتى إنه حين سمح لهم الفرس بالعودة إلى فلسطين لم يرجع إلا القليل حتى من الذين كانوا ببابل منهم ، إذ بقى بها جمع عظيم على قربها من وطنهم الذى يطالبون به .

وكانت هناك مستعمرات يهودية واسعة فى الجزيرة ومصر . ووجد بولس الرسول أثناء رحلته التبشيرية فى آسيا الصغرى وبلاد الإغريق

وجزر بحر الروم و إيطاليا وأينما حل وسار طوائف يهودية .

لم يثبت التاريخ أن هناك من شتت اليهود قبل سنة ٧٠ م أو أرغمهم على مغادرة فلسطين . على أنه من المؤكد أنهم عاشوا فى كورنث وروميه واسكندرية عيشة رغدة . وكما انتشروا فى الغرب فقد ولّوا وجوههم نحو الشرق ، فقصدوا خراسان وتركستان والصين النائية وكوشين وساحل الملابار ، وكوّنوا طوائف ثبت وجودها قبل الميلاد المسيحى .

لم يرحل كل اليهود عن فلسطين ، بل بقيت منهم طائفة وهم المعروفون بالسامريين . وكانت هذه الطائفة تدبر شؤونها اليهودية فى الخفاء ، وكان الرومان لايرتاحون لوجود جمعيات سرية تعمل إلى جانب الحكومة ـ ولقد نهج منهجهم موسولينى فى عدم السماح ببقاء جمعيات سرية فى إيطاليا ، فحل محافل البنائين الأحرار . كذلك منع حزب النازى أعضاءه من الانتساب إليهم ـ إذ خافوا أن يهاجم اليهود ، بتدبير جمعيتهم السرية ، الحكومة . ولكن فاتهم أن اليهود وهم مشتتون فى أنحاء العالم يرتبطون فيما بينهم برباط متين « فعلى كل يهودى مختتن أن يقوم بواجبه ونصيبه فى إنهاض الشعب اليهودى وألا يتزوج إلا من ابنة رجل مختتن »

وصحب اليهود فى تشتتهم فى أنحاء العالم انحطاط كبير، فلم نعد نسمع عن شجاعة اليهود المكابيين التى طارت شهرتها سنة ١٣٤ و سنة ١٣٥ ق . م

فى كفاحهم لهادريان . وكان السبب المباشر فى هذا الانحطاط مايختص فى تشريعهم بالمصاهرة بينهم ، إذ اختلطت دماء الطبقة الراقية والنبلاء بدماء الطبقة الوضيعة ، كما اختلطت دماؤهم بدماء إمائهم وعبيدهم الذين ختنوهم وأدمجوهم بهم .

وإن اختلاط دمائهم على ذلك الوجه يظهر لنا جلياً فى الفرق بين يهود أسبانيا وممالك غرب البحر الأبيض المتوسط وبين يهود منغوليا الشرقيين الأشداء ، وكذلك بين يهود اسبانيا وزعمائهم فى عهد فرديناند الكاثوليكى وبين يهود هنغاريا وروسيا الحمراء وبولونيا .

اليهود السفارديون والاشكنازيون

طائفتان من الطوائف اليهودية احتفظوا بتقاليدهم وتغلغلوا فى معايشة الشعوب الأوربية وهما يهود أسبانيا أو اليهود السفارديون ويهود ألمانيا أو اليهود الاشكنازيون . وسنسرد فى عبارة موجزة شيئاً عن هاتين الطائفتين وتاريخهما .

رحلت فئة من اليهود إلى أسبانيا فى حماية رومية القديمة صاحبة السيادة عليها إذ ذاك ، ونجحوا فى أن يستوطنوا بها وعاشوا إلى جانب القوط سكان شبه جزيرة إيبريا .

وعند ما غزا المسلمون الأندلس أخذ نجم اليهود يتألق فى سماء البلاد ، إذ عقدوا مع المسلمين اتفاقاً سريا وساعدوهم على احتلال معظم مدن القوط. وفى سنة ٧١١ م تم سقوط الجزء الأكبر من شبه جزيرة ايبيريا فى أيدى المسلمين ، ومُنح اليهود مكافأة لهم مناصب هامة فى الدولة وخُصوا بالمراكز المالية .

ولما رأى اليهود أن القوط ابتدأت تقوى فى منطقتها وأن المسلمين أخذوا فى الاضمحلال ، سارعوا بمد يد المساعدة إلى القوط . و بفضل مساعدتهم استرد القوط عددا كبيرا من المدن التى كانت تحت سلطان المسلمين . وفى ١٤٩٢سقط الجزء الباقى من الأندلس فى أيدى القوط فى عهد فرديناند أراجون و إيزابلا كاستيلين . وأثار إعادة اليهود إلى المناصب المالية والادارية حركة عدائية عليهم . ثم صدر مرسوم سنة ١٤٩٢ بطرد اليهود الذين لا يدخلون فى المسيحية من البلاد . وغادر البلاد على أثر ذلك عدد كبير من اليهود ، وأرسل الأغنياء منهم أموالهم إلى الخارج لاستغلالها ، فى حين دخل جُلّ صغارهم فى المسيحية. على أنهم ، مع تظاهرهم بالدخول فى المسيحية ، بقوا قوّامين على تشريعهم ومظاهرهم وتقاليدهم فى كل مكان ، وجعلوا من كل ابنةٍ يهودية Esther جديدة تنفذ إلى كل أسرة وَتُخفف من غلواء الكراهية لليهود . حتى إن العائلة المالكة

نفسها لم تخل من يهودية وهى الملكة بولوما .

وبقيت لأولئك اليهود الذين تظاهروا بالدخول فى المسيحية المراكز المالية والادارية التى كانوا يشغلونها فى عهد سلطان المسلمين ، بل كان من بينهم مستشار الملك فرديناند الكاثوليكى ، المدعو لويس دوسانتا نجل ، وجبريل شاندتز كبير أمنائه . وخلفهما ابناهما فى هذين المنصبين ، وكان الاسقف الأكبر فى البرتغال فى الأصل حاخاما . كذلك لعبوا فى الكنيسة دوراً خطيراً ، فكان قسيس الاعتراف للملك والملكة من أصل يهودى واشترك فى تأسيس الجزويتية .

وعلى الرغم من تظاهرهم بالدخول فى المسيحية فلم يعرف عنهم أنهم صاهروا غيرهم ، بل بقوا حريصين على أن يصاهر بعضهم بعضاً ، وكانت لهم كنيستهم الخاصة « الكنيسة اليهودية - Iglesias de los Judois » . ولم يكن بين قادة الثورة الأسبانية سنة ١٩٣١ أحد منهم ولم يساهموا فيها .

رحل اليهود الذين غادروا أسبانيا على أثر مرسوم سنة ١٤٩٢ ، إلى بوردو وأمستردام والبندقية ورومية وسالونيك ، وأسسوا حيث حلوا مجتمعات يهودية . ونفذ اليهود من أمستردام إلى همبرج واستقروا فيها وتوافرت لهم أسباب الثروة بها . وكانت لغة كل هذه الأوساط اليهودية الجديدة الأسبانية أو البرتغالية وكذلك كانت أسماؤهم . ولقد كان يهود أسبانيا

يقدّرون النبل اليهودى ، فأنفوا أن يصاهروا يهود المـانيا (الاشكنازيين) وعملوا على كسب عطف المحيطين بهم ، من غير اليهود ، فى أمستردام وهامبرج و إيطاليا . ولبثت هذه الفئة ملوكا للمال فى أوربا وآسيا الصغرى من سنة ١٦٠٠ م إلى سنة ١٧٥٠ م ممثلين فى مصارفهم فى المدن الـكبيرة الثلاث ، امستردام والبندقية وسالونيك ، يتحكمون مثلما تحكم بيت روتشلد فى القرن التاسع عشر ـ ذلك البيت الذى كان هو وأمثاله من بيوت المـال اليهودية من أكبر العوامل فى خراب الماليـة المصرية ، وفى هدم أمبراطورية إسماعيل العظيم ـ هذا عن اليهود السفارديين . أما اليهود الاشكنازيون فلهم تاريخهم كذلك .

فى سنة ١٥٩٠ م كان يحكم انجلترا ادوارد الأول فى حين كانت فرنسا تحت حكم شارل السادس . ولم تكن فرنسا ذلك العهـد هى فرنسا اليوم ، إذ كانت ولايتا بريتانيا و بورجونيا تحت نفوذ الانكليز ، الذين كثيراً ما اضطهدوا اليهود وأبعدوهم عن البلاد ، فكانوا يحطون رحالهم فى المانيا التى كانت تطردهم بدورها فيولون وجوههم شطر بوهيميا و بولونيا وهنغاريا و ينضمون إلى الطوائف اليهودية هناك . وكانت اللغة الألمانية هى اللغةالسائدة بينهـم فى تلك الولايات إذ لم يكن لليهود الاشكنازيين كيان أوجاه يعتد به .

وقد خلق طرد اليهود من انجلترا وفرنسا كما طردوا من إسبانيا ثم طرد العدد الكبير منهم من المدن الألمانية فى القرون الوسطى ، حركة مكافحة اليهود فى شرق أوربا وفى بولونيا وزوسيا .

ومنح القيصر يوسف الثانى ، اليهود فى القرن الثامن عشر، امتيازات مدنية فى شىء من المساواة مع أبناء البلاد . وعملوا هم من جانبهم على تقليد السفارديين فى كسب عطف المحيط الذى يعيشون فيه وأن يصبغوا أنفسهم بالصبغة الأوربية ، غير أنهم لم يفلحوا فى القيام بهذا الدور ، إذ كانت تعاودهم الذكرى والحنين إلى آبائهم وأجدادهم يهود الشرق فيتشدقون بأسمائهم وأعمالهم ، مما حال بينهم و بين الاندماج فى البيئة التى يعيشون فيها ، ولو فى الظاهر ، كما نجح اليهود السفارديين فى ذلك ، و إن كانت كلتا الفئتين تعمل تحقيقاً لمبدأ اليهود فى استعباد المجتمع بقوة ذهبهم . ولئن اختلفت لباقتهم وتفاوتوا فى الظهور بمظهر النبل فقد اتفقت أغراضهم وتوحدت غاياتهم .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه جمهورية نوفمبر سنة ١٩١٨ فى ألمانيا كانت الرقابة ضعيفة عليهم . ولشدّ ما قاست الشعوب الأوربية من اليهود وسوءاستغلالهم لمثل هذه الظروف . فلقد بلغ اليهود الاشكنازيون فى العالم عقب الحرب من الجاه والسلطان مبلغاً لم تحصل عليه طائفة من اليهود

من قبل ، إذ صاروا بقوة ذهبهم السادة المتحكمين فى رقاب الشعوب كافة .

فقامت فى الشعب الألمانى لذلك حركة قوية ترمى إلى إضعاف السيادة اليهودية . وحمل النازي لواء هذه الحركة جاعلين من أقدس واجباتهم وأسماها تنقية الشعب الألمانى وتخليصه من اليهودية وما تجنيه عليهم .

اليهود قوم رحل متجولون

إن السبعة عشر مليوناً من اليهود الموجودين الآن قد انحدروا من الثلاثة أو الأربعة الملايين الذين كانوا معاصرين لاسرا ونعمياس . وقد ذكرنا غير مرّة أن تشريعهم الذى يحظر عليهم المصاهرة بالأجانب جعل دمهم بنجوة من اختلاط الدماء . ولذلك تجد الخالص الصميم من اليهود أكثر مما تجد الخالص الصميم الفرنسى فى الفرنسيين أو الصميم الخالص الأنكليزى فى الأنكليز وهلم جرّا

قال العلامة المحقق البرت بونتمونى ١٨٩٩ : « إن اليهود مهما تلونت بشراتهم لتجمعهم رابطة الأخلاق والعادات ، فهم متذللون إذا أصابهم سوء الحظ ، ويجيدون اللعب من وراء الستار ، ولهم فى جمع المال مواهب اختصوا بها دون سواهم . وإنّ أهمّ مايميزهم المرء به طريقة نطقهم ولهجتهم فى اللغات وأسلوبهم الخاص الذى يغلب عليهم فى الكتابة » .

ولقد يتسنى لليهودى أن يكون بناء أو عاملا ، ولـكن من يقبل ذلك منهم قليل جدًّا لا يكاد يذكر ؛ وقليل منهم أيضاً من يشتغل بالصناعة أو الأدب أو التمثيل . ولـكن صناعتهم التى يجيدونها هى التجارة والذهب واستغلاله . فاليهود غريبون عن الزراعة والحقول والاشتغال فيها. ولـكنهم يستولون بسلطان أموالهم على ما تنتجه الأرض وعلى ثمرة مجهود الرجال حتى يصبح كل ذلك غريباً عن أصحابه ومالـكيه . ونسجل هنا بهذه المناسبة ما يقوله تلمودهم ، « إن اليهود بشر وأما الشعوب الأخرى فهى قطعان من الماشية ، فاليهود بشر لأنهم من روح الله أمّا غيرهم فهم من روح غير نظيفة وهم بهائم فى صورة بشر ويجب أن يعاملهم اليهود معاملتهم لبهائمهم[1] »

ولما كان تشريعهم يحرم عليهم الاختلاط الجنسى بين الشعوب التى يعايشونها ،كانت صلاتهم الاجتماعية بتلك الشعوب ضعيفة لا تـكاد تتعدّى اللغة إلا قليلا . ولقد ترك اليهودى العبرية وأخذ باللغات الحية من فرنسية وانجليزية وألمانية.

قال المستشرق جوستاف أودلف فارموند فى مؤلفه سنة ١٨٩٠ عن « قانون التجوال واليهودية »:« إن اليهود وإن كانوا حقيقة رحّلا متجولين

---

(١) هـذا النص مترجم عن الألمـانية . إذ لم أعثر على نص عربى أثناء الكتابة .

فان لدمائهم حاجزاً دون أن تختلط بغيرها من دماء الشعوب التى يحلون بينها.
فترى اليهودى يعيش فى ألمانيا ولا يصبح يوماً ألمانيا ، و يعيش فى فرنسا
ولا يصبح يوماً فرنسيا ، ويعيش فى انجلترا ولا يصبح يوما انجليزيا »

نضرب لك مثلا على صحة ماسبق ما كتبه اليهودى «يعقوب ڤاسرمان»
الذى ولد فى ألمانيا وتثقف ثقافة ألمانية فى كتابه «طريقى كيهودى وألمانى»:
«لا يمكن لغير الألمانى أن يتصور حرج مركز الألمانى اليهودى ، إذ أنه
يختلف عن اليهودى فى أى مملكة أخرى . فعند ما يلفظ اليهودى كلمتى
« يهودى ألمانى » يلفظهما بضغط متساو على المقطعين ، وهذا يدل على
الحب الحائر بين الكلمتين : حب اليهودى لألمانيته . وحبه ليهوديته ،
فمثله كشخص وقف بين مرآتين تبدى كلتاهما صورته » . وقد حل هو
بنفسه رموز اللغز الذى ادّعاه وأراح نفسه من حيرته ، فقد برز كاتبا يتعامل
مع الالمان لتروج بضاعته على حين وهو فى أرض ألمانية لايتعامل إلا مع
مطبعة يهودية ، ذلك هو الحب الحائر ! !

ووصف الكاتب الفذ جستاف أدولف ڤارموند أحوال الرّحل فى
كتابه « عرف الرّحل وعاداتهم والسيادة اليهودية فى العصر الحاضر » فقال:
« لقد كان من طبائع البدو الرحل فى الولايات السامية الثورة الفجائية دون
انذار . وذلك كان يسميه العرب « تغير مجرى الأمور وصروف الدهر » .

ولا يكاد البدو الرحل فى الصحراء يعدلون فى حياتهم عن هذه السنة. فبينا تراهم حلولا فى منتجعهم منصرفين إلى تدبير شؤونهم المعاشية إذا بك تراهم يغيرون على غيرهم ليغنموا ما شيته وماله. وإنا لنلاحظ أن هذه العادات العريقة فى انتسابها للرُّحل ظاهرة متكررة فى الاسواق والمضاربات المالية، وهى ميدان العمل اليهودى. وهذه الظاهرة ما تراه من هبوط فجائى مرعب بعد ارتفاع ».

تاريخ حركة مكافحة اليهود فى ألمانيا

لم تكن حركة مكافحة اليهود فى المانيا وليدة حركة النازى، ولم يكونوا هم أول من قاموا بها فى المانيا، فقد سبقهم أشخاص بارزون فى عصور التاريخ المختلفة، منهم لوثر وفردريك الكبير ومارى تيريزا وكانت وهاردر وجوته وشيلر وفش وشو بنهور و بسمارك ومولتك و بلروت وفرانزلست و رتشارد ڤاجنر.

ذكرنا فيما سبق أنه قد دخل فى المسيحية يهود فى القرون الوسطى وكان ذلك بسبب مطاردة الأمم لهم وما كانت تشترطه عليهم للبقاء فى أراضيها.

و يعد فى حكم القليل النادر من دخل فى المسيحية من يهود المانيا فى القرنين الأولين للعصر الحديث سواء في ذلك المذهب الكاثوليكى

البروتستانتى . ولقد وجه لوثر نفسه القول عنيفا ضد اليهود فى كتابين قصرهما عليهم ، وحض فيهما على نبذ مزاعمهم وطردهم من البلاد . ومنذ قام لوثر قام فى البلاد اتجاهان للحركة ضد اليهود . اتجاه المذهب الكاثوليكى ، وهو رأى العصور الوسطى فى اعتبار اليهودى الذى اعتنق المسيحية ودخل فى زمرة «الكاثوليك» أنه لم يصبح بعدُ يهودياً بل كاثوليكى مثل سائر الكاثوليك المؤمنين . فمردّ الحركة الكاثوليكية ضد اليهود إلى العقيدة الدينية دون أى اعتبار آخر من جنس أو غيره . والاتجاه الثانى اتجاه المذاهب الدوتستانتى وهو اعتبار اليهودى يهوديا و إن دخل فى المسيحية ، وهذا ماحدا بلوثر زعيم هـذا المذهب إلى وضع كتابين ضد اليهود وهذا على الرغم من اعتناق يهود المذهب البروتستانتى .

واندمج كثير منهم فى أسرة القسس والمبشرين فى سنة ١٨٢٠ وغزوا مدارس اللاهوت وتطوعوا فى مراكز التبشير بكثرة ، وسرعان ما أصبح منهم أولئك الحديثى العهد فى بالمسيحية ، قساوسة مبشرين وأساتذة اللاهوت . فكان مثلهم مثل أولئك اليهود البولونيين الذين لم يمضى على وجودهم فى برلين شهور قليلة حتى حاولوا تدريس اللغة الألمانية وسيلة للرزق ، كذلك كانوا فى مقدمة الوعاظ شهرة وتأثيراً . وفى سنة ١٨٢٠ قوى، مركز اليهود فى الولايات البروتستانتيه الألمانية و بلغوا شأواً عظيما .

مثال ذلك أن أصبح شتاهل (١٧٠٢ — ١٨٦١) زعيما لحزب المحافظين وأسس جريدة الصليب Kreuz Zeitung وتولى الاشراف عليها ، فى حين انتخب اليهودى سمسون (١٨١٠ — ١٨٩٦) ليقدم إلى القيصر البروسى وهلم تاج بروسيا وتاج الأمبراطورية مما جعل جوانح كل يهودى تنتفخ تيها ، إذ كان منهم من قام بدور الوسيط بين الشعب وأمبراطوره .

وأخذت حركة مكافحة اليهود فى القرن الثامن عشر فى المانيا تشتعل آنا وتخبوا آناً حتى أصدر ڤاجنر سنة ١٨٥٠ رسالته عن اليهود فى الموسيقى فأثارت عليه حرباً عواناً زهاء عشر سنوات وحقداً وكراهية يتوارثونها للآن ، فلم يحجم أمثال فرانز فرفل وأميل لودڤيج أن يضعوا ڤاجنر دون مرتبة فارادای و بيزت . وغنى عن البيان أنهم ما هاجموا ڤاجنر إلا لأن فنه كان المانياً خالصاً ، فهو الذى بعث الأغانى الألمانية الحماسية وبثها فى قراره نفس الشعب الألمانى . و بعد عشر سنوات من كتاب ڤاجنر أخرج بوخر كتابه « عن اليهود والبيئة الألمانية » و بقى هذا الكتاب متداولا حتى سنة ١٨٧٩ . وفى أثناء ذلك الوقت قام اليهود بمناورات فى الأسواق المالية أدت إلى تهديد كثير من المولين الألمان فى مستقبلهم تهديداً شديداً وقد انتهى بإفلاس كثير منهم .

وفى سنة ١٨٧٦ نشر أوتو جلاجن مؤلفة « عن السوق المالية وسبب

مصائبها فى برلين » نجتزىء منه ما يأتى « لن ندع بعد اليوم سبيلا لتسامحنا كمسيحيين نحو تدفق اليهود وتقدمهم . لن نترك اليهود بعد اليوم يتسلقون إلى قمة الزعامة والنفوذ . فمن الوزير حديث العهد بالمسيحية إلى البائع البولونى المتجول تتكون سلسلة الأشواك التى توضع فى سبيلنا . ولقد أصبحنا فى وقت من السهل فيه جداً أن تشتم مستشار الأمبراطور دون أن تشتم يهودى ، فانك إذا نظرت إلى يهودى شزرا لا تلبث أن تجد صيحة تدوى من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب : « اسرائيل فى خطر »

وتلا ذلك مؤلفات كثيرة ولعبت الحركة دوراً خطيراً فى سياسة المانيا ، فان واعظ البلاط فى برلين « أدولف شتوكر » الذى هاجم اليهود فى دخولهم المسيحية وتنصرهم الظاهرى ، أسس فى سنة ١٨٧٨ الحزب المسيحى الاشتراكى من النواب البرلمانيين أعضاء جمعية مكافحة اليهودية فى المانيا والنمسا أيضاً ، ورفع عريضة بها ٢٥٥ ألف توقيع بطلب وقف المهاجرة اليهودية إلى البلاد وإقفال أبواب المناصب العامة دونهم وتحريم التدريس عليهم فى مدارس الشعب .

وسرت حركة مكافحة اليهود كذلك فى النمسا ، وتولت زعامتها جبهة برلمانية ، ولكن تحت راية الكثلكة ، وانضم إليها كثير من قساوسة

الـكاثوليك . وحذت هذه الحركة فى النمسا بزعامة « الدكتور ليوجنر » حذو « الحزب المسيحى الاشتراكى » الذى كان يتولى زعامته « أدولف شتوكر » والذى كانت تعدّه مثلها الأعلى . على أن انضمام القساوسة الكاثوليك فى النمسا إلى هذه الحركة أضعف من قوتها ، لأن حركة مكافحة اليهود لم تلق فى الواقع تشجيعاً يذكر من الكنيسة الكاثوليكية. وكان من نتيجة ذلك أن نرى العمدة الثانى لفينا بجانب الدكتور ليوجنر ، وهو رجل يتصل لليهودية بأمّه ، وهو « بورزر » .

وكان هتلر ، وهو إذ ذاك فى ميعة شبابه، يراقب هذه الحركة وتطوّرها باهتمام عظيم ، وكان لها فى نفسه تأثير كبير .

اليهود فى ألمانيا قبل الحركة الأخيرة

بيّنا فيما سلف كيف نال اليهود الذين تظاهروا بالدخول فى النصرانية حظوة كبيرة فأجزل لهم فى الحقوق المدنية . ولقد قام هؤلاء المتظاهرون بالتنصر يستدرون عطف العالم والانسانية على اليهود . غير أن ذلك لم يكن ليعوق أمثال هاردر وجوته أن يهاجموا اليهود فى صراحة وشدة .

وابتدأ كثير من اليهود يتسمون بأسماء ألمانية ويتثقفون بالثقافة الألمانية فى الزى واللغة والتقاليد ، ولكن ذلك لم يكن ليغير من خصائص أنفسهم شيئاً .

وكانوا يحرصون في اختيار الأسماء الألمانية على ماله مثيل أونظير في العبرية، مثال ذلك لفظ Schmul ومعناه فى العبرية ابن سليمان . ومنذ سنة ١٧٨٠ احتكر اليهود هذه الألقاب الثلاثة «بلومنتال وشونفلد ورورزنبرج». كذلك حوروا ألفاظا عبرية خالصة إلى أسماء ذات مسحة المانية، فمن ليفى اشتقوا Lowt ، Levitus ومن كوهين اشتقوا Kogan ، Kohan ، Kohanide ، Coogon كما عمدوا إلى أسماء عبرية يحمل صدرها معنًى المانياً مثل Herzl .فكلمة Herz معناها فى الألمانية القلب وكلمة Herzl معناها فى العبرية الجسد .

وساعد اليهود فى أن يتمتعوا بامتيازات كثيرة ، اعتقاد الناس فيهم أنهم ضعاف . ولقد عاشت هذه الأوهام زمناً طويلا فى المانيا حتى بين البروتستانت أنفسهم .

وأتى اليهود إلى المانيا ، كما يأتون إلى كل بلد ، غير مدعوين أو مرغوب فى إقامتهم ، و بقوا فيها يقيمون حيث يشاءون و يقومون بطقوسهم الدينية أنّى أرادوا على الرغم من عدم استساغة الأمة الألمانية لهم . ولو أن اليهود فى القرون الوسطى كانوا مكروهين من شعب ما ، لكان ذلك هو الشعب الألمانى الذى قاسى منهم أكثر مما قاساه غيره من الشعوب الأخرى . ولقد استغل اليهود مركزهم المالى فى القرون الوسطى، حتى

انتهى بهم الأمر إلى إغراء كثير من النساء المسيحيات ، وعند ما انتبه الناس إلى هذا الخطر سُدّ باب الاغراء دونهم فلم يكن يسمح لأى يهودى فى المانيا بدخول منزل مسيحى لأى عمل كان إلا فى صحبة شخص مسيحي .

وكان اليهود، حتىأواخر القرون الوسطى، معتبرين شؤماًعلىالأجانب الذين يعيشون بينهـم ، ولم يكن لأى يهودى الحق فى أن يشتكى ألمانياً أو يرفع عليه دعوى . وكان ذلك أبلغ رد على ما ورد فى تلمودهم من اعتبار غير اليهود أنعاماً وماشية . على أن اليهودى لم يكن لتعييه الحيل في استخلاص حقه أو الأخذبثاره . وكان ذلك مجالا واسعا لخيال الـكتاب والروائيين ، فـكتب شكسبير إحدى رواياته الخالدة في هذا المعنى وهى « تاجر البندقية » .

يقولون : إن الشعوب جميعا تضع اليهود فى أحياء خاصة ، تلزمهم ألايتعدوها . ولـكن من ذا الذىيحرّم على اليهود اليوم — وهم المسيطرون على المـال فى الدول جميعا — السكنى أين يشاءون ؟ يزعمون أنهم حصروا فىأحياء خاصة . والواقع أنهم هم الذين استقلوا باحياء كاملةوصبغوها بصبغتهم اليهودية فى أكبر مدن الدنيا مثل ڤينا و برلين ولندن ونيويورك ، دون أن يتدخلأحد فى الزامهم بذلك . وليس بعجيب على فئة لبثت أكثر من

ألفى عام لا يصاهر بعضها إلاّ بعضا أن تتخذ فى كل مدينة حيًّا خاصا بهم مصطبغا بصبغتهم . على أن كثيرا منهم ساهموا فى سكن القصور الضخمة ذات الحدائق الغناء فى الأحياء الأرستقراطية وضواحى المدن بقسط كبير.

ولقد أفلحوا فى دائرة أحيائهم بين سنة ١٧٨٠ إلى سنة ١٨٤٨ فى أن يلعبوا دورا هامًّا فى حياة المجتمع فى ڤينا و برلين . والذين قاموا بهذا الدور كانوا ممن ارتو وا من مناهل الثقافة الأور بية وكانوا على ذكاء كبير . فنساء مثل هنريت هرزل وراحيل ليڤين ممن بهرن الناس بجمالهن كان لهن من اللباقة والاغراء أضعاف ما يكون لأية امرأة ألمانية ارستقراطية . وكان نتيجة لذلك أن تزوج كثير من الألمان من حسان يهوديات، فتزوج المؤرخ الشهير فوت انزى بالحسناء راحيل ليڤين ، وعاش البرنس لويس فرديناند مع اليهودية هنريت فروم وأنجب منها ولداً حمل اسم ڤلدر بوخ وقد كان من حفدتها الشاعر ارنست فون ڤلدر بوخ ، و أصبحت اليهودية ماريانا قرينة للبرنس هنرى الرابع عشر ، وتزوجت أختها سارة من عظيم من بيت فون جروتوس . ومع أنه فى المدة من ١٨٢٠ — ١٨٣٠ دخل نحو ثلث يهود برلين فى المسيحية فان الرجال منهم لم يتزوجوا من غير يهوديات الجنس . و بلغت (الصالونات) اليهودية من الاستهتار حدًّا جعلت معه أهل برلين والمنصفين من اليهود أنفسهم فى أشد حالات السخط عليها

وفى ذاك الوقت كانت كلمة « إبعاد اليهود » تكاد تجول بخاطر كل إنسان فى المملكة . واليك نداء صدر فى ٨ مارس سنة ١٨٤٨ بشأن اليهود :
«يابنى الوطن ، لقد لاحظنا بمنتهى الألم المرّ ولاحظ معنا كل من يرجو الخير لهذا الوطن وينشد الحرية له أن هناك أيدياً هدامة تعمل على إبعاد ذلك اليوم الذى يتخلص فيه الشعب من أسر المرابين وأصحاب الديون وما يرزح تحته من أعباء فى العشر السنوات الأخيرة ، وذلك بالفتّ فى عضد الشعب . ألا إنا لنوقن عندما نناديك اننا ننوب عنك وننطق باسمك . الا إنه واجب مقدس ، واجب كل وطنى شريف ، واجب كل من لا يعبث باسم الحرية ، ألا إنه واجب كل صديق للشعب ونصير للحرية أن يحرّر نفسه للتخلص من هذا الغل الثقيل . و إنه لخائن ونصير للفوضى وهدم الوطن ومجده من يمد يد المساعد لأولئك اليهود المطاردين . إن الوطن ليرسف فى قيد العسف وما هو بالطليق » وتلا ذلك إمضاءات .

واليك مثلا من قوة التأثير اليهودى فى الألمانى جورج هورفجه ، الذى اقترن باليهودية الحسناء إمّا سيجمند سنة ١٨٤٨ ورحل معها إلى باريس حيث تطوّع لمحاربة الحركة فى المانيا . عاش فى فرنسا ، وعند ما حانت منيته سنة ١٨٧٥ دعا أصغر أبنائه اليه وقال له « إذا اضمحلت بروسيا بعد موتى فضع نقشاً على قبرى بالعبارة الآتية : « ابشر يا أبت وارقد

فى أبديتك قرير العين، فلم يصبح هناك شىء اسمه بروسيا ». وتجنست الأم وأولادها بعد ذلك بالجنسية الفرنسية . وفى عام ١٨٨٠ أسس واعظ البلاط ادولف شتوكر الحزب المسيحى الاشتراكى ، ولكنه فى سنة ١٨٩٠ اضطر إلى ترك وظيفته والاستقالة من منصبه . كذلك عمل جورج فون شوينرر فى النمسا بهمة عالية مما لفت أثره الكبير نظر الشاب هتلر فجعل هذه المسألة فى مقدمة نقط الجهاد .

و بلغ اليهود فى ألمانيا بعد الحرب مركزاً لم يبلغه يهود أسبانيا قبل أن يضطهدوا .

اليهود فى المجتمع الألمانى

إن اليهود وهم الذين عاشوا بين الشعب الألمانى ولهم تقاليدهم الخاصة دون أن يكون بينهم وبين الشعب أواصر اجتماعية، قد نجحوا فى وقت قصير أن يتبوءو مركزاً قويا سواء فى ألمانيا أو فى النمسا .

ففى سنة ١٨٠٠ فتحت يهوديات فى برلين وڤينا « صالونات » فخمة للأدب كان يؤمها كثير من رجال الأدب والسياسة والنبلاء والأمراء فيقابلون بألوان الاغراء لكى يكثروا من الاختلاف إليها . كذلك تدفقت المصارف فى وقت حروب نابليون بكثرة، فكان آل رتشيلد فى فرنكفورت

هم المتحكمين فى المالية الألمانية وفى سائر ممالك أوربا ، إذا استثنينا الروسيا . وكان افرايم وأتزج اليهوديين صرّافى فردريك الأكبر . ولقد أعمى بريق ذهب تلك البيوتات المالية «والصالونات» بصائر كثير من الألمان الوطنيين مما أدى إلى اتساع نفوذ اليهود بينهم . وقد بينا فيما سبق أن هناك نساء يهوديات عملن على الاتصال بالأمراء والنبلاء . ولو أن امرأة كان لها تأثير أبلغ مما عملته راحيل ليفين فلعلها تكون دورثيا مندلسون ، إذ لعبت دوراً خطيراً عند ما أصبحت زوجاً للنبيل فردريك فون شاجلز فى ڤينا ، فقد تقدمت مندوبة إلى مؤتمر الدعاية الكاثوليكية على الرغم من المدة القصيرة التى مضت على دخولها فى المسيحية . وكان « صالونها » فى وقت مترنيخ يختلف إليه الكثيرون ، وكانت تحاك فيه دعايات سيئة على القائمين بأمر الأدب الألمانى والمشتغلين به من الألمان المسيحيين . وكان خليفة بسمارك كابريفي يختلف إلى « صالونات » اليهودية ف ـ ليبين . و نال « صالون » الدوقة اليهودية فون تيرنبرج شهرة كبيرة فى أوائل الحرب العظمى . و بقى « الصالون » اليهودى إلى اعلان الحرب من أهم مصادر السياسة . على أنه يقال إن لدى اليهود نصيحة أسداها إليهم بعض المجربين من أذكيائهم ، وهى أن يستغلوا قوة ذهبهم فى بسط نفوذهم فى كلّ مملكة ، على أن يكون مثلهم مثل قطع الشطرنج تجول فى الرقعة وهى محافظة على ألوانها

وخصائصها . ومهما يكن فى نسبة هذه النصيحة إلى عقلاء صهيون اوغيرهم ،
فان اليهود يفعلون كل مافى طاقتهم لتحقيقها ، فهم من عهد رومية القديمة
إلى الآن خميرة الانحلال الاقتصادى فى كل أرض يحلون بها .

ولقد سمح لهم نابليون سنة ١٨٠٠ بالانتظام فى سلك الماسونية وتأسيس
محافل ماسونية يهودية فى اقليم الرين . وفي سنة ١٨٠٨ منحهم فرايهر
فون شتين ، الذى كان يوماً ما عدوًّا لليهود ، حقوق الاقامة فى بروسيا .
وفى سنة ١٨٢٣ سمح لهم فيمار بالمصاهرة بينهم و بين المسيحيين مما حدا
بالمستشار ميلر وصديقه جوته أن يحرضا على القيام باحتجاج عنيف .

وحث جماعة من كبار الألمان الكاتب فشتى على مناوأة اليهود
ومهاجمتهم ، فكتب سنة ١٨٩٣ يقول : « تجتاح الأراضى الأوربية
اليوم حركة عدائية قوية لاهدنة لها ، تلك هى الحركة اليهودية . ولا ترمى
هذه الحركة إلى ربط حلقات السلسلة اليهودية بعضها ببعض فحسب ، بل
هى ترمى أيضا إلى الحض على كراهية الشعوب الأخرى . ذلك هو شعارها
وما ترمى إليه خطتها . على أن لهم أن ينالوا حقوقهم الانسانية ، أما الحقوق
المدنية فان يتسنى لهم الحصول عليها إلا إذا كنا فى ليلة واحدة نقطع رءوسهم
جميعاً ونستعيض لهم عنها برءوس خالية من الفكرة اليهودية » . وكادت
تكون ثورة سنة ١٨٤٨ والوقت الذى تلاها ، القضاء المبرم على اليهود وطردهم

من ألمانيا ، لولا أنهم عرفوا كيف يتخذون الطريق إلى الجيش ويندمجون فيه بدخولهم فى المسيحية . على أنهم بقوا على الرغم من تنصرهم محافظين على تقاليدهم ومتعصبين لها ، فقد طبقوا فى حوادث جمة ما جاء فى التلمود وهو : « إذا اختصم إليك اثنان أحدهما إسرائيلى فابذل جهدك أن تطبق الشريعة اليهودية فتعطى الحق للاسرائيلى . وإذا وجدت القوانين الدنيوية ومصلحة فلا تتردد فى تطبيقها » .

ولقد تكانف اليهود كتّابا وأدباء وذوى فن على سد طريق الفوز والشهرة على شعراء الألمان وأدبائهم وذوى الفن منهم . غير أن أعمال أولئك الألمان لما فيها من القوة والمتانة ، وإن حيل دون نشرها فى إبانها بسبب الدعاية اليهودية ، على حين اختفت أسماء يهود كانوا عنوان عصرهم وقادة الأدب والفنون فيه . فمن ذا الذى يقرأ اليوم لبو يرنى أو ماكس رنج أوروزنتال أو هنرى هين ؟ ومن ذا الذى يستمع اليوم لموسيقى فرومنتاهل أو هلفى أو مندلسون ؟ . على حين طبّقت الخافقين وسُجِّلَتْ فى صفحات الخلود أسماء الموسيقيين والأدباء الألمان أمثال باخ وموزارت وشوبرت وبتهوفن وفرانز ولست وڤاجنر وبروكنر وغيرهم .

كذلك نافس اليهود ذوى الفن من الألمان فى فن الزخرفة والبناء ، ومنهم من بعد صيته بفضل ما كانوا يقومون به من دعايات . ولكنك إذا

نظرت إلى مابقى من آثار أعمالهم ترى أن الفساد قد دب إليه فلم يبق منه إلا قشرات حفظت فى المتاحف فى حين بقيت أعمال ذوى الفن من الالمان فى الكنائس حافظة لبهائها وروعتها وزهاء ألوانها . ولكم بعثت دعاية الصحف اليهودية فى نفوس عظماء ذوى الفن من الالمان خيبة أمل وحسرة . ومن الغريب أنه كان إذا تزوج أحد هولاء الالمان ، الذين تحار بهم الصحف اليهودية ، من يهودية ، مثل مافعل ريشارد دهمل وتوماس وهنرى مان ، فان طعن هذه الصحف ينقلب إلى ثناء وتمجيد .

ولقد كتب اليهودى موريس جولد شتين فى سنة ١٨٧٢ يقول : « نحن اليهود نوجه تفكير الشعب كيف نشاء ونباشر كما نسيطر على الكفايات والسلطات . فمن ذا الذى ينكر قوة اليهود وسلطانهم على الصحافة ! . لقد أصبح النقد فى أمهات الصحف يحتكره اليهود و يرسمون خططه. ولقد لا يحتاج إلى بيان ما للنفوذ اليهودى على المسرح من سلطان . فمديروا المسارح فى برلين وڤينا وكذلك أكثر الممثلين والممثلات يهود . فلولا الدعاية اليهودية لما بلغت تلك الجوقات الموسيقية فى أنحاء ألمانيا هذا المدى البعيد من الشهرة . ولا ننس فضل الأيدى اليهودية على الادب » .

وهانحن أولاء نرى بعد الحرب ، أينما حل المرء فى المانيا أو النمسا ، معظم المسارح وشركات الإخراج السينمائى ومعظم الفنون فى أيدى اليهود يتحكمون فيها

كيفما يشاءون . فذوو الفنّ الذين تجرى فى عروقهم دماء اليهود ينالون الحظوة والإقبال فى كل مكان. فى حين لا يجدُ الآلاف من ذوى الفنّ الألمان ما يسدّون به رمقهم . ولقد تكوّنت جوقات موسيقية من اليهود الذين أخذوا يعمدون إلى إتلاف الموسيقى الألمانية القومية بادخال الأناشيد البلشفية فيها فضلا عن محاولتهم صبغها بالصبغة اليهودية .

ومن وقت أن دخل عددٌ كبير منهم فى المسيحية ، بل من وقبل ذلك ، شغل كثير منهم — يهودا ومتنصرين — مناصب أساتذة فى الجامعات واحترفوا الطب والمحاماة كما شغلوا مراكز فى القضاء كبيرة ، وصار منهم قساوسة ومبشرون وأساتذة فى اللاهوت . ولا نبالغ إذا قلنا إن مراكزهم فى الجامعات وكراسيهم كانت أشبه شيء بالتوارُث. فعند ما كان يخلو مركز أستاذ يهودى ولا ينتخب بدله يهودى آخر، كانت ترتفع أصوات الاستنكار والاتهام بالرجعية والتعصب تؤيدهم فى ذلك الصحف اليهودية فى قوة وعنف .

« اليهود والادارة الألمانية »

لم يكتف اليهود بنصيبهم من التدخل فى الحياة الاجتماعية والثقافة، فسعوا بعد عهد الاضطهاد إلى المساهمة فى نظام الادارة وطمحوا إلى الرياسة والسلطة وهم أجانب عن البلاد . وقد قال حاكم الالزاس واللورين سنة

١٨٠٧ حين دعا نابليون اليهود للتشاور فى مسألة اضطهادهم « فلننس من أين نحن اليوم آتون ، فلسنا باليهود الألمان أو البرتغال ، فيجب فى انتشارنا فوق ظهر البسيطة وفى أنحاء العالم أن نكوّن وحدة شعبية »

وفى عصرنا هذا قبل انتهاء الحرب بقليل وقف يهودى مُبرّز وهو الدكتور يعقوب كاتز كين يخطب فى بازل حيث عقد المؤتمر الصهيونى موجها كلامه إلى اليهود وغير اليهود من الطلبة فقال : « نحن لسنا بألمان ولا غير ألمان ولا نعمل لنكون كذلك ، فنحن يهود لا تربطنا بغيرها أدنى رابطة . فنحن حيثما نحل شعب أجنبى ثم قال موجها كلامه إلى غير اليهود من الطلبة : « نحن أجنبيون عن شعبكم وعن بيئتكم وسنبقى دائما كذلك بيننا و بينكم هوة ليس إلى عبورها من سبيل . الهكم غير إلهنا وطقوسكم غير طقوسنا ودينكم غير ديننا وشمسكم وأعيادكم غريبة عنا لا تمتّ الينا بسبب . آلامكم وأفراحكم وانتصاركم وانكساركم وأحلامكم وآمالكم وتقدمكم وتأخركم ، كل ذلك لا يعنينا ولن نعيره أى اهتمام . فما كانت حدودكم لتضمنا معكم أو تفرّق بيننا و بين شعبنا أو تؤثر فى وحدتنا ، سواء زاد تعصبكم لوطنكم أو نقص »

تلك هى الحقيقة لقوم عاشوا متنقلين متجولين لا يرتبطون بصلة النسب أو المصاهرة أو أية صلة أخرى مع الشعوب التى يعيشون بينها ، ولا يترددون

إذا ما رأوا لدى العدوّ بنفعة لهم فى أن يذهبوا اليهغير عابئين بشىء من قواعد الخلق أو الوفاء الواجب عليهم نحو الشعوب التى يعيشون بينها .

ولقد بينّا فيما سبق كيف تدخّل اليهود فى الحياة الأدبية وحياة الثقافة والموسيقى والفنون المختلفة . وقد جاوز ذلك كله تدخلهم فى الحياة السياسية الألمانيـة العامة . فكان أوّل من بدأ بتنفيذ هـذه الخطة يهود ممن دخلوا فى النصرانية وعلى رأسهم أمثال شتاهل وسمسون . ولما كان كارل ماركس يكاد يكون يهوديًا متنصراً (فى الحقيقة هو ابن يهودى متنصر) ، فقد عرف كيف يضرب لهم على الوتر الحسّاس ويخاطبهم لابساً لهم ثوب اليهودية وخالعاً رداء المسيحية . ولقدشغل شتاهل وظيفةمحافظ ممتاز فى حين تقلد سمسون وظيفةً فى القضاء كبيرة ثم صار رئيسا لمجلس النواب البروسى فرئيساً للريشستاخ ثم للمحكمة العليا فى ليبزج . وقد قدم سمسون هذا التاج الأمبراطورى الألمانى مرتين فى سنة ١٨٤٩ وسنة ١٨٧١ إلى القيصر ولهلم ملك بروسيا وامبراطور ألمانيا .

وفى الوقت الذى كان فيه فى انجلترا من اليهود السفاراديين ، بنيامين دزرائيلى « لورد بيكنسفيلد فيما بعد » رئيساً للوزارة ، وفى فرنسا غمبتا وفى إيطاليا لوتزاتى ، وكانوا جميعاً فى انجلترا وفرنسا وإيطاليا فى عصر واحد ، لم يكن فى ذلك الوقت فى ألمانيا القيصرية ، يهودى يتقلد منصب

المستشارية أو الوزارة و إن كان كثير منهم يتقلدون آنئذ وظائف كبيرة ومناصب وزارية ثانوية فى الأمبراطورية و إماراتها . و إن فى مذكرات بسمارك خير شاهد على ذلك . أما ما كانوا يتظاهرون به فى العلن فهو أنهم ديمقراطيون ومن أنصار الحزب المعارض ، كما كانت تدعو صحفهم إلى الاشتراكية .

ولقد كانت الحرب العالمية فى نظر يهود ألمانيا حرباً مقدسة ، وأعلن ذلك فى صراحة اليهودى. ا . ب . فريد فى كتابه « نظرة على السلام » الذى أصدره فى ديسمبر سنة ١٩١٨ والانقلاب الجمهورى قائم فقال : « نتقدم نحن اليهود بقلوب يملؤها الشكر لديموقراطيي الغرب الذين ظفروا بالنصر ، فقد كان فى ذلك فرح لنا وتأمين لحياتنا » . ولقد روى اليهودى والترراتناو صديق الأمبراطور ، ذلك الذى سيطر على الحالة الاقتصادية أيام الحرب ، فى كتابه الذى أصدره بعنوان « الأمبراطور – تأملات فى سنة ١٩١٩ » أنه قابل فى بداءة الحرب صديقا قديماً له ، وكان كلاهما متشائم ، على أن صديقه لم يتم حديثه معه حتى قال « عندما تأتى اللحظة التى ينتصر فيها الأمبراطور ونراه مارًّا مع فرسانه البيض على خيولهم الشهب تحت بوّابة « براند بورجر » فى ذلك اليوم سيفقد التاريخ العام رأيه ». من هنا نرى فى هذا الرجل ، وقد كان يفخر بصداقة الأمبراطور ، برهانا جديداً على

أن اليهود لا يهتمون بغير أنفسهم ولا يخلصون لأى مخلوق مهما جنوا من ورائه الربح الكثير . و إلى ما قبل الحرب بوقت قصير لم يوجد يهودى على رأس أية ولاية . على أن الحرب كانت سبباً فى اتساع نطاقهم فى المراكز والمناصب ، فلقد كانت من أشنع غلطات القيادة الألمانية أثناء الحرب أن جعلتهم المسيطرين على الحالة الاقتصادية والتموين سواء كان ذلك فى الجيش أو فى البلاد . ولقد أعلن ذلك الجنرال لوندورف ، رئيس أركان الحرب فى الجيش مدة الحرب، أثناء نظر قضية ثورة هتلر فى ميونيخ ، كما أعلن أنه قد درس وقدر الخطر اليهودى أثناء الحرب و بعدها ووقف على دقائقه .

ولقد تنبه الناس إلى ذلك الخطر أثناء الحرب وما كان يدبره اليهود الشيوعيون من تمرد وفتن فى الجيش والبلاد علاوة على ما خلقوه من أزمات اقتصادية داخلية خطيرة . وكانت تؤازرهم فى ذلك صحفهم ، حتى أنها لم تكن تردد بين أنهرها إلا أسماء أصحاب السلطة والمتصرفين فى الأمور من اليهود وتكيل لهم المدح والثناء . وفى اجتماع صهيونى فى برلين سنة ١٩١٩ خطب اليهودى لانداو فقال: « لقد كان من حسن حظ اليهود أنهم غنموا ما غنموا أثناء الحرب دون تفتيش أو مراقبة . على أنه لو أعلن ما غنموا وما أثقلت به ظهورهم، لكان ذلك كافياً لأن يجعل اليهود صرعى فى الشوارع . أما وقد حصلوا على ما حصلوا عليه ، فانه واجب عليهم أن يقدّموا عظيم الشكر

إلى الديمقراطيين الاشتراكيين أصحاب انقلاب نوفمبر سنة ١٩١٨ — فقد كتب انتصارهم النجاة ليهود ألمانيا » . ولقد كان أصحاب السيطرة الاقتصادية أثناء الحرب اثنان من اليهود كانا صديقين للأمبراطور ، وهما والتر راتناو والبرت بلليني، كما كانت معظم المراكز الاقتصادية الكبيرة والصغيرة فى الولايات على اختلافها يشغلها يهود ، بينهم من نزح من الشرق حديثاً ، وكان كل ذلك باعثاً على تجديد حركة مكافحة اليهود فى ألمانيا .

وطغى عقب انقلاب سنة ١٩١٨ سيل من اليهود الألمان والبولونيين والغاليسيين والتشك والروس ، على المناصب السامية فى المانيا فاحتلوها . فكان منهم هرش رئيس وزارة بروسيا ، وجراد ناور رئيس وزارة سكسونيا وايزنر رئيس وزارة باڤاريا وهاس وزير داخلية بادن وفريند وكيل وزارة فى بروسيا وهرزفلد فى وزارة داخلية بروسيا و برنشتين فى خزانة الدولة وشيفر وكيل خزانة الدولة وسمسون وزير مالية بروسيا و بوش وكيل وزارة مالية بروسيا وكاوتسكى مدير وزارة فى الخارجية وكوهين كبير الموظفين القضائيين وروزنفلد وزير حقانية بروسيا و برويس وكيل داخلية بروسيا ، وفولدا وزير داخلية هس وفوترا مدير وزارى فى معارف بروسيا ثم السيدة هرشفلد عضوة بالمجلس الأعلى لوزارة العمال وهاش للخارجية وكونجز برجر

وزيراً لحربية باڤاريا ثم ليڤى رئيس شرطة إسن وشتينر رئيس شرطة ميونيخ وهرمن رئيس المحكمة العليا فى بروسيا وأرندت مراقب المطبوعات فى وزارة المعارف وغيرهم . وليس هؤلاء إلا عدداً يسيراً ذكرناه على سبيل المثال .

ولقد ارتفع صوت تحذير من دائرتهم نشرته جريدة « الصوت اليهودى » فى ميونيخ فى نوفمبر سنة ١٩١٨ : « إن الرأى العام يردد بين آن وآخر أن اليهود قد احتلوا مناصب كثيرة فى الدولة . فاذا ما كافح الرأى العام الذين لم يتبوءوا مراكزهم بانتخاب عام ، ولكن أظفرهم بها انقلاب نوفمبر ، فليس من الفطنة أو حسن الرأى أن يتشبثوا بها ، إذ لا ينتظرون من كفايتهم على الاضطلاع بما يسند إليهم إلا جزاء سنمار » .

وممن كان لهم اليد الطولى فى دستور ڤيمار اليهودى الدكتور هوجو برويز. وكان من اليهود بمجلس التحقيقات الذى استجوب قواد الدولة ، سترهيم وجوتهايم وبن واو سكار كوهين . وكان مصير ديون الحرب الألمانية بيد اليهودى التشكى أدوار برنشتين الذى باع إلى الصحف الأجنبية أسراراً ألمانية ليس فى مصلحة المانيا إذاعتها .

وتوالى نجم اليهود فى الارتفاع ، فألحق بألمانيا اضراراً وأنزل بها مصائب جسيمة . فقد ألقى رجال الحكومة فى ميونيخ ، وكانوا من اليهود ،

بعقاليدهم إلى البلاشفة الذين مالبثوا أن أعلنوا جمهورية شيوعية بميونيخ لم تعش أكثر من المدة التي بين ١٣ ابريل وأول مايو سنة ١٩١٩ ، إذ قضى عليها الجنرال فون إب ورجاله الميونيخيون الشجعان . وختمت بأن قتل الحمر عشرة أشخاص كانوا أخذوهم فدية ، بينهم الكونتس فستراب والأستاذ المسن باير حيث أعدموهم رمياً بالرصاص في فناء مدرسة لو يتبولد الثانوية على حين وقف النظارة من الحرس الأحمر بالنوافذ .

وكان دعاة هذه الثورة والقائمون بها كورت أيزنر، وهو يهودى من غاليسيا، كان صحفيا حتى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، إذ تولى بعد ذلك وزارة باقاريا ، وارنست تولر . وهو يهودى بولندى صحفى ، وايريش ميهزام ، وجوزتاف لاندو من اليهود الألمان، ومار كس ليفين وهو يهودى روسى وكذلك تو بياس.

وقامت فى برلين فى يناير سنة ١٩١٩ حركة عصيان قوية كان المدبرون لها شيوعيين من اليهود أمثال كارل ليبكنشت واليهودى تيبوس وروزا لكسمبرج اليهودية البولونية ، كما كان على رأس اضطرابات مقاطعة الروهر اليهود ايبشتين وروبن وهامر وأكل وروزى ڤولشتين .

وظهر إبان ذلك نوع جديد من الخطر اليهودى من المحتالين أمثال بارنات واسكلارك وكوتيشر إذ كانوا سبباً فى فضائح مالية كبيرة . وساقت المانيا الهتلرية إلى ساحة العدالة كثيراً من هؤلاء الذين كانت تمجد الصحف

اليهودية أسماءهم وتدافع عنهم وتحتج على مطاردتهم . وختم هذا الانتصار اليهودى بتضخم النقد الألمانى المعروف سنة ١٩٢٣، وقد كان اليهودى النمساوى هلفردنج وزير المالية والمسيطر على سك العملة هو المدبر لهذا التضخم .

وفى وسط هذه الضجة الهائلة سارت القافلة النازية فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ الى « صالة فلدهرن » بميونيخ حيث بدأت الحركة لصيانة العنصر الألمانى .

هل المسألة اليهودية فى برنامج الاشتراكية الوطنية

ذكر هتلر فى برنامجه أن اليهود.وهم دخلاء فى البلاد وليس لهم إلا حقوق الأجانب ، لا يميزون بشىء عمن يقطن المانيا من الانجليز أو الفرنسيين أو الايطاليين أو الاسبان بل حتى الزنوج . وسواء أكانوا صهيونيين من فلسطين أو من اليهود أصدقاء فرنسا أو بولونيا أو غيرها فذلك سواء لدى هتلر والنازى ولا يعنيهم فتيلا . فوالحالة هذه وهم ابناء ولايات أجنبية ، ليس لهم حقوق أكثر من حق الاقامة ما داموا يتبعون قوانين الولاية التى فيها بلا خروج عليها . وكما أن الفرنسى أو الانجليزى أو الايطالى إذا ما ارتكب جريمة أو ذنبا فى المانيا يعتبر غير مرغوب فى إقامته ، « فيجب على الولايات الألمانية أن تطبق ذلك المبدأ على اليهود ولها الحق فى ذلك» .

فلذلك طلب النازى ، وأيدوا ما طلبوا خطابة وكتابة ، تقديم كل مجرم وكل من يجرم فى حق المانيا سواء أكان يهوديا أو غير يهودى الى ساحة العدل ، كما عمل النازى على حماية الدماء الالمانية أن ينفذ إليها دماء يهودية أو غير يهودية من غير العنصر الجرمانى .

ولقد ألف الروائى اليهودى الفيناوى « تذاور » الذى اشتهر بمؤلفاته المبتذلة قصة عنوانها « مدينة بلا يهود » صوّر فيها كيف أن اليهود بعد أن هجروا المدينة لم يلبث أن جاء اليهم أهلها فى خضوع وذلة يضرعون اليهم أن يرجعوا . وفى ختام هذه القصة صوّر كيف رجع اليهود تياهين شامخى الأنوف » .

ويُرد على هذا المؤلف بما وقع فى أسبانيا ، فهل بعد أن طردت اسبانيا اليهود سنة ١٤٩٢ ، انهدّت أركانها ، أو انحطت درجة ثقافتها ؟ ! لقد كانت المسألة على العكس المطرد ، فقد ملأصيت اسبانيا الخافقين وارتفع نجمها بعد طرد اليهود ألم تكن بداءة هذه النهضة أن ترك كولومبوس وطنه وجاء يلتمس المعونة من أسبانيا ؟ ثم من ذا الذى ينسى ذلك الدور الذى لعبته أسبانيا فى المدنية فى القرنين التاليين لطرد اليهود ! لقد غذّى الثقافة العالمية أمثال شاعر الدرامه لوب دوفيجر وكالدرون وغيرهم من المبرزين ، ثم العلم الفرد سرفانتس مؤلف « دوق كيشوت » والمثالون

ڤيلا سكوز ، وموريللو ورينا ، الذين بلغوا فى الفن شأوا بعيدا فى القرنين التاليين لطرد اليهود . كذلك بهرت أسبانيا العالم بقوتها الحربية ونظام جيشها وحنكة قادتها الذين قادوها من نصر إلى نصر . ولم يثبت انحدار أحد من هؤلاء الأعلام من أصل يهودى .

على أن أسبانيا لم توفق إلى حل المسألة اليهودية حلاً نهائيًا يكون منهاجا لغيرها من الأمم . إذ ترك اليهود الذين دخلوا فى المسيحية على ما هم عليه . فأدى تركهم فى البلاد ، وهم عدد وفير ، إلى أن استعادوا السيطرة اليهودية على الحياة الاقتصادية فى البلاد . وما لبث أن عاد إلى الرأسمالية سلطانها ، وتدفق ذهب العالم الجديد الى مصارف الدولة وابتدأت سياسة الربا الفاحش تتجدد . وبقى هؤلاء اليهود حديثى التنصر من سنة ١٤٩٢ الى وقتنا هذا حريصين على تعاليم شريعتهم ، فلم يختلطوا بالشعب الأسبانى أو يمتزجوا به ، بل لم يشتركوا فى إقامة الجمهورية الأسبانية الجديدة أو يمدّوا لها يد المساعدة .

على أن حل المسألة اليهودية فى برنامج هتلر ليس بالراجع القهقرى ، ولكنه يدرج فى سبيل النجاح . ولقد رأت اسبانيا ما جنته من ثمار ناضجة رائعة بعد طرد اليهود . كذلك قامت فرنسا بادئ ذى بدء سنة ١٣٩٢ تحت حكم هنرى الرابع ثم لويس الخامس عشر لصيانة دمائها

من اليهود وغيرهم من الدخلاء فى البلاد . وفى سنة ١٢٩١ طردت انجلترا اليهود غير أنه كاد يكون بها مستعمرة لليهود البرتغال فى عهد كرومويل كما نزح إليها فى سنة ١٨٤٠ كثيرون من مهاجرى يهود المانيا وبولندا وروسيا وهنغاريا . فى سنة ١٩٠٠ انتشر اليهود فى انجلترا انتشاراً كبيراً .
وتحت تأثير اليهود الماليين فى فرنسا دخلت انجلترا الحرب لنصرة فرنسا وتبعتها أمريكا .

« إن فكرة حل المسألة اليهودية فى برنامج ثورة النازى ترمى إلى صيانة العنصر الألمانى وتوثيق عرى الروابط بين أفراد الأمة ومطاردة المرابين ومن إليهم » .



الشيوعية فى المانيا

« الثورة المسلحة هى آخر حلقة فى سلسلة البلشفية وأول حلقات الحرب الأهلية» ذلك مايقوله البلاشفة وما نستهل بهاالكلام عليهم تلك الفئة التى أشهرت الحرب على الانسانية عواناً فى كل شبر من الأرض وحاولت أن تنفث سمها فى كل ذرة من الهواء ، أصحاب شريعة لينين وأوليائها تلك الشريعة التى أنكرت جميع الأديان وسخرت من جميع العقائد وهزئت بنظام الله فى أرضه ، فقاست منها الانسانية ما قاست من شرور وآثام ، حتى انتهى الأمر بالشيوعيين إلى أن أصبحوا يقاسون من أنفسهم أولئك الذين كان شعارهم فى تنفيذ خططهم أن يضحى الانسان ما يضحى فى سبيل إخفاء الحقيقة ولا يترك فى هذا الصدد طريقة أو حيلة إلا و ينتفع منها .

ينقسم تاريخ الشيوعية فى المانيا إلى ثلاث حلقات من ١٩١٨ — ١٩٢٣ و ١٩٢٤ — ١٩٢٩ و ١٩٣٠ — ١٩٣٣ . وتبتدىء الحلقة الأولى عند ماأسست اليهودية روز الكسمبرج بوق الحمرآنئذ رابطةال Spartakus كشعبةمن الحزب الديموقراطى ،وأصدرت برنامجهفى ١٤ ديسمبر سنة١٩١٨. ومن ندائه الذى أذاعه آنئذ « ان الكفاح للاشتراكية هو أعظم حرب

أهلية فى تاريخ العالم ، وعلى طبقة الرعاع فى الأمة أن تعد العدة للحرب الأهلية وتدرب نفسها على استعمال معداتها لتستفيد منها فى نيل النصر » .

ولم يمر على تأسيس هذه الرابطة شهر حتى قامت باضطرابات فى برلين لم تستطع المشاة والقوات الحربية أن تقضى عليها إلا بعد أيام . وفى نفس الوقت أعلنت جمهورية سوفيتية فى برلين ، كما كان كفاح وشجار فى شوارع همبورج ووهلمسهافن .

وفى فبراير سنة ١٩١٩ أعلنت جمهورية سوفيتية فى برانزفيك وبادن كلفت الحكومة الكثير من الدماء فى القضاء عليها . كذلك لا ننسى اضطرابات مارس سنة ١٩١٩ فى برلين وما حدث فى منطقة الروهر . ولقد قام الشيوعيون بثورة فى ميونيخ ولبثت تلك المدينة من ٧ ابريل إلى ٢ مايو سنة ١٩٢٩ يحكمها الشيوعيون بزعامة البحار رودلف اجلهوفر والقومسيار يين ليفين وليفيتى واكسلرود . وقد كلف القضاء على هذه الجمهورية أكثر من ٩٢٧ قتيلا وعدداً لا يحصى من الجرحى . وفى آخر يوم من أيام هذه الثورة قتل الحمر ثمانية من رجال ميونيخ وسيدة فى فناء مدرسة ليتبولد الثانوية انتقاماً وتشفيا .

ثم وقع اضطراب سنة ١٩٢٠ وقادته فرق الرعب الشيوعية بزعامة ماكس هولتز ، كما دمرت منازل عديدة وحرقت فى فويجللاند .

وجاءت كارثة خريف سنة ١٩٢٣ ألا وهى تضخم النقد فكانت تمهيداً لاضطرابات جديدة يقومون بها . وفى أواخر أكتوبر سنة ١٩٢٣ قاموا باضطرابات كبيرة فى هامبورج واحتلوا على أثرها بعض مراكز البوليس . ولقد كانوا حريصين عند القيام بثورة أو اضطرابات جديدة ألا يقعوا فيما وقعوا فيه من أخطاء سابقة .

ولقد قادت اضطرابات هامبورج فى سنة ١٩٢٣ الآنفة الذكر فئة من اليهود الروسيين الذين مهدوا لها من قبل أمثال زوبهسون وكارل رادك واتومار كاردت أعضاء البعثة التجارية السوفيتية فى هامبورج .

ولقد كان يناط بفرق الرعب الشيوعى ، علاوة على ما يقومون به من نصيبهم فى التخريب والتدمير، إعطاء الاشارات إيذاناً بابتداء الاضطرابات. وإليك وصفا مجملا لحادثة من حوادث تلك الاضطرابات نقلا من تقارير البوليس يومى ٢٢ و ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ « اتفق المشاغبون فى الليل على تعيين مراكزهم وكانت هذه المراكز يتصل بعضها ببعض بواسطة راكبى الدراجات يطوفون بها عليها . وكانوا يتخذون طريقهم إلى مراكزهم وحداناً . وعندما أعطيت لهم اشارة الابتداء المتفق عليها انقضوا على مركز البوليس نمرة ٤٢ على حدود بروسيا وهامبورج ، كما هاجموا ضابطى هذا المركز « هالبا وروجنبك » اللذين كانا فى المرور آنئذ

عند تقاطع شارعى استر ومتسفل ومثلوا بهما تمثيلا شنيعاً فطعنوا « هالمبا » بالمدى فى رأسه وصدره وذراعه ومزقوا ثيابه وانتزع أحدُ المعتدين غدارته وأصابه بها فى صدره . ولقد مكث هـذا البائس فى المستشفى ثلاثة أشهر بسبب هذا الحادث. أما زميله روجنبك فقد كُتب عليه ألا يغادر المستشفى طيلة حياته » . وانجلت ثورة هامبورج هـذه عن أكثر من أربعين قتيلا ومائة وخمسين جريحاً إذ ضحى البوليس فى سبيل استرداد المركز نمرة ٤٢ فقط بثلاثة قتلى واثنى عشر جريحاً ، وفى استرداد مركز آخر قُتل خمسة من ضباط البوليس وجُرح ثلاثة عشر » .

لم يكن فى قدرة المانيا القضاء على الشيوعية فيها بسهولة ، تلك التى صبّت سمها زعافاً فى كل مكان فسرى فى عروق البلاد ، فضلا عما قام به القائمون بأمرها من البلاشفة ، بدعاية واسعة النطاق من صحف وروايات ونشرات وأفلام فى طول البلاد وعرضها. وكانت نتيجة تلك الدعاية أن صار عدد الاشتراكيين الديمقراطيين فى المانيا سنة ١٩٣٢ مايقرب من المليون شخص فى حين كانوا يحرزون فى الانتخاب ، بسبب دعايتهم أكثر من ستة ملايين صوت. ولا يعزب عن البال أن الاشتراكيين الديمقراطيين ، وهم من انصار ماركس وتعاليمه ، واليهود والشيوعيين صنوان . ولا نبالغ إذا قلنا أن أكبر خصم رأت فيه الشيوعية خطراً شديداً عليها فى حركته التى

تعمل على هدم مذهبهم والقضاء عليهم ، إنما هم النازى . فما كانت كراهية الشيوعية تنصبّ على رجال فيمار بنسبة تذكر بجانب ما تنصب به على حزب العمال الوطنى الاشتراكى الألمانى ، فالبلشفية لاتحاربُ الماضى ولكنها تسعى إلى هدم المستقبل . ولقد جاء النازى بعدئذ فمحوا فى يوم ماتحملته المانيا فى أربعة عشر عاماً .

ولتعلم مقدار مابذلته المانيا من جهد هائل فى القضاء على الشيوعية ومقدار ما كانت تعده الشيوعية لألمانيا ، نسوق اليك ما قيل فى الاجتماع الثانى عشر الشيوعى فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ « تزداد الاضطرابات والحركات الثورية فى المانيا ، والعمل جار على وجه السرعة لخلق ثورة عامة كبيرة » وفى هذا الاجتماع نعتت المانيا بأنها « جرح أوربا الذى لن يندمل » ولقد كانوا يروون الولوغ فى هذا الجرح وتسميمه والنفاذ من تلك « البوابة المسماة المانيا » لينشروا الشيوعية وسمومها فى جميع ربوع الدنيا . ومن أقوالهم فى هذا الاجتماع « ستقرر الثورة الألمانية الشيوعية مصير الثوار من طبقة الرعاع فى غرب ووسط أوربا . فالعالم باختراق المانيا يصير فى قبضة يدنا . ولقد كان نجاح ثورة المانيا وأيام سنة ١٩١٧ ، ١٩١٨ الباهرة تمهيداً طيباً للثورة العالمية »

التآمر والمؤامرات روح الخطة الشيوعية

قامت مكاتب الشيوعية فى ألمانيا بجمع المعلومات اللازمة عن كل منزل وشارع ومحل تجارة وما بها من خبايا وقبوات ووصفته وصفاً دقيقاً . وكان لكل فرع ولجنة أقسام ، ولكل قسم هيئة منظمة من المراسلة كما كان لها مخابئ سرية للذخيرة والسلاح . وكانوا يراقبون البوليس ومراكزه ويعدون عليه حركاته وأنفاسه ويحيطون رؤساءهم علما بذلك كله فى التو « فاذا كانت الأنوار تسطع فى مراكز البوليس فمعنى ذلك أنه صدر الأمر لقواته بالاستعداد فوالحالة هذه يجب على كل فرع ثانوى أن يتلف مالديه من مستندات وعناوين كما يجب على أعضائه أن يتفرقوا ولايترددوا على محال الجمعة التى اعتادوا التردد عليها . »

ولقد دسّت البلاشفة من هيئة جاسوسيتهم المنظمة بين طبقات الأمة المختلفة وبين الأحزاب المختلفة ، كما حرصوا كل الحرص على استعمال الشفرة فى مراسلاتهم وخطاباتهم مع مراعاة تغيير رموزها من آن إلى آخر . ودققوا كل الدقة فى انتقاء رسلهم وحرصوا على تغيير أمكنة اجتماعاتهم والأمكنة التى يترددون عليها . ولقد كانت رسلهم يقظة ومهرة لدرجة أنهم كانوا يتحاشون تحية بعضهم إذا ما تقابلوا فى الشوارع . وكنت ترى الواحد

من هؤلاء الرسل يقف فى الشارع بغتة متظاهراً باشعال سيجارته وذلك ليتأكد إن كان مراقباً أو يتبعه أحد . كما حرصوا على ألا يقفوا أمام عدسة المصور وحذروا أن يتعاطوا من الخمر أو أى مخدر آخر كثيراً. وما فتئوا أبداً يدخلون تعديلات جديدة وتحسينات على طريقة المحافظة على أسرارهم وانتشار دعايتهم. ولعلنا لانخطىء إذا قلنا إنه منذ حوالى سبتمبر سنة ١٩٣٢ لم يتخذ الشيوعيون فى بريدهم مصلحة البريد طريقة للاتصال بينهم ، فلقد نظموا بريدهم بطريقة خاصة بهم ذات مراكز اتصال ومحطات ورسل كانت تقوم مقام الحركة الدموية فى جسد الحزب فتصل بين فروعه المتعددة . وكانوا فى عملهم هذا يقومون بدعاية واسعة النطاق منظمة . ولقد كان من بين هؤلاء الرسل من حمل أسراراً غاية فى الخطورة . وكانت وسائل انتقال هؤلاء الرسل فى برلين الدراجة على حين كانت فى الريف الموتوسيكلات ذات العربة الجانبية أو السيارات وكانوا يستعملون فى تسييرها الزيت الروسى الرخيص مما كان لايكاد يكلفهم شيئاً يذكر . ومن الظريف أن معظم هذه السيارات والموتوسيكلات كانت من المركبات المسروقة ثم غيروا لوحاتها وما تحمله من علامات . وكان الرسول العادى يجهل أحياناً من سيسلمه الرسائل ومن سيتسلمها منه أو جهة القيام وجهة الوصول ، كما كانت تختلف تلك الرسائل بين كتابية وشفاهية . وإليك مثلا واحداً

من أعمال هؤلاء الرسل وما يقومون به من مهمات . ففى ٣ مارس سنة ١٩٣٣ قبض على المراسلة السريع بالحزب الشيوعى الألمانى ومولز برجر في قرية ينر وعند ما فتش وجد أنه يخفى فى جوار به الرياضية خمس خطابات من المركز الرئيسى فى كوبلنز مؤرخة فى ٢ مارس سنة ١٩٣٣ وتحوى هذه الخطابات أراء عن الموقف السياسى فى ألمانيا وتفصيلاته ، كما وجد بها خطط لتنظيم اجتماعات فى المعامل وخططا للتحريض والدعوة إلى الثورة . وختم أحد هذه الخطابات بهذه العبارة « أيها الأصدقاء قد حانت الساعة لكسر شوكة معارضيكم والقضاء عليهم بشجاعة تكون مثلا فى ثورة العمال ونهضتهم » . وبها أيضاً أن مندوب مركز كوبلنز سيكون خلف محطة اهر بنشتين مابين الساعة الثالثة والثالثة والنصف تميزه زهرة بيضاء فى عروة جاكتته اليسرى . و بواسطة هذه المعلومات تم للبوليس ، الذى ذهب فى الميعاد المذكور ، القبض على المتآمرين .

وعلى الرغم من أن الشيوعيين كانوا يدققون فى انتخاب من يوكلون إليه مهمة ، أو من يتخذونه رسولا ، كانوا يقومون بمراقبته من حين لآخر كما كانوا يحتفظون بصورة فوتوغرافية له مع وصف دقيق و يأخذون بصماته إذ كانوا يخشون أن يتمرد عليهم يوماً أو تمج نفسه الاستمرار فى هذا الانقياد الأعمى علاوة على تعرضه للمخاطر فى كل آن وحين . وما أسرع

ما ينسون حسناته إذا ما تغلبت عليه ما يسمونه بنقط الضعف تلك التى سردناها ، ويا ويل من كانت تحويه منهم كشوفهم السوداء .

ولقد أسلفنا القول فيا سبق أن أول ما يرمى إليه الشيوعيون فى العراك والثورة ، القضاء على الوزراء ورجال البوليس وقادة الأمة وأصحاب المراكز والرأى فيها ، وفي ذلك مافيه من القاء الرعب فى قلوب الناس . ولا يعتبر الشيوعيون اعداءهم فقط من ذكرنا ، بل وكل من لم تحوه صفوفهم . ولديهم فى كل فرع من فروعهم كشوف تحوى أسماء الأشخاص غير المرغوب فيهم أو الذين يجب القضاء عليهم بمجرد أن يقبض الشيوعيون على أزمة السلطة . وقد وجد كثير من هذه الكشوف فى فروع الحزب الشيوعى فى مقاطعة الروهر . ولم تكن إدارة الجاسوسية الشيوعية تخدم الحزب الشيوعى فى المانيا فقط بل وتمد الاتحاد السوفياتى فى موسكو بما يشاء من البيانات والاستعلامات .

ولتستدل على خبث دعايتهم ، نسوق اليك نداء أذاعوه فى هامبورج فى فبراير سنة ١٩٣٣ « يا عمال هامبورج ، إن أنصار هتلر على الطريق . ويا رجال البوليس وضباطه يا من سخرتم فى ثوبكم الرسمى ، لا تجعلوهم يسخرونكم فى اطلاق النار على العمال ، على آبائكم واخوانكم . نحذركم وستبقى هامبورج أبداً حمراء على الرغم مما قد يحدث ، فالحرس الأحمر

صامدٌ فى ارتقاب . وهو ولو أنه محرمٌ وجوده منذ سنين فانه لم يكن يوماً ما أقوى منه الآن . . . إلى السلاح أيها العمال . . . إن اليوم فى قبضة يدكم إذا ما استعمل الجيش الأحمر الظافر أسلحته فى القضاء على أعداء العمال وسوقهم إلى الجحيم ». ذلك مثل من أمثلتهم فى إثارة حرب الطبقات فى ألمانيا يسوقونها بذلك إلى الهاوية .

الشيوعية نقيضة الوطنية الصحيحة

إن الانسان لا يدرك مدى انتشار الشيوعية فى ألمانيا ولا يقدره تماماً إلا إذا درس أخلاق أتباع ماركس وطبائعهم وما جبلوا عليه من حب الشرور وارتكاب الآثام وهدم المجتمع . ان الحزب الشيوعى الألمانى وهو مكوّن فى ألمانيا ، على الأكثر ، من جماعة أجنبية معادية ، لم يكن إلاّ رسالة الاتحاد السوفياتى فى ألمانيا تغذيه موسكو بنظرياتها وآرائها وطرق الدعاية لمبادئها وتمده بأموالها ، ليس فقط بصفتها حكومة ولكن كمركز سياسى حزبى . وقصارى القول أنه كانت تربط برلين بموسكو شباك تصل الشيوعيين بأمهم موسكو — وبين هذه المظاهر يقوم بدورهم أتباع ماركس ألدّ أعداء الأمة الألمانية .

ولا نكون مبالغين اذا قلنا إنه ما من دعاية فى جريدة أو فلم أو اسطوانة

غنائية أو رواية مسرحية أو اجتماع واحد مما قام به أو نظمه شيوعيو المانيا إلا وانهالوا فيه بالتحقير والسباب على المانيا وطاروا بالسوفيات والاتحاد السوفياتى ومبادئهم إلى أعلى عليين، وكالوا لهم المدح وأسرفوا فيه واصفين روسيا بأنها الوطن الحقيقي للعمال وأنها أرض الميعاد . كما كانت تغمر الجاسوسية المانيا لحساب روسيا ، فى كل مكان . فكان لديها تفاصيل دقيقة عن المعامل والمصانع وطرق حراستها ليلاً ونهاراً وكذلك عن مخازن الذخيرة والأسلحة .

ولقد ثبت أن هذا العمل كان يجرى تحت إشراف بعثة خاصة من موسكو أعضاؤها دائما فى تغيير . والغريب أنه إذا ما ألقى القبض على أحد هؤلاء الجواسيس فإنه كان يرفض أن ينبس ببنت شفة ، بل قد يؤدى به عناده الى مثل ما فعل الشيوعى « ب . أوتو » الذى اختصر استجوابه بالانتحار . ولم تمتد يد الجاسوسية الروسية إلى المعامل والمصانع فحسب ، بل تعدتها أيضا إلى الريشسفهر فى جميع مرافقه سواء من وجهة تسليحه أو ناحية أسرار الدفاع عن البلاد . وإنها لوصمة عار فى جبين الحزب الشيوعى الألمانى أن يخدم أعداء البلاد ويساعد الجواسيس الأجانب على إذاعة أسرار الدولة الحربية سواء عن الجيش أو عن البحرية أو غيرها . ولقد نظر القضاء بين يونيه سنة ١٩٣١ وديسمبر سنة ١٩٣١ أكثر من

إحدى عشرة ومائة قضية خيانة عظمى أتهم فيها أكثر من مائة وخمسين شخصا بإذاعة أسرار حربية . ولقد كانت الدعاية الشيوعية الأدبية تساعد على تلك الخيانات وتمهد لها فى قولها إنها لا تعتبر المانيا موطنا للعمال وانهم فى حالة وقوع حرب فسيحارب العمال جنباً لجنب مع روسيا الحمراء ضد المانيا ، خلاف ما كانوا يعرضونه من مبالغ طائلة رشوة للحصول على أسرار ، ولكن نادرا ما كانوا يدفعون . ومن الظريف أنه ذات مرة كانت الرشوة حذاء جديداً ليس غير ، أودى بصاحبه إلى حياة طويلة فى السجن .

ولقد امتدت الشبكة الشيوعية إلى داخل الريشستاخ فكان من بين أعضائه من استغلوا الحصانة النيابية فى العمل على هدم كيان الوطن بمساعدتهم الشيوعية والانتصار لها . وكانت موسكو تمد الشيوعيين بالمال بسخاء كبير فى الخفاء وإن كان يبدو فى الظاهر أنه مساعدة يسيرة . ففى سنة ١٩٣١ كان المبلغ المرصود فى ميزانية موسكو لمساعدة الشيوعية فى المانيا ٢٣١ر٠٠٠ ماركا على حين بلغت المصروفات ٣ر٧٠٠ر٠٠٠ ماركا دفعتها موسكو طبعاً . وفى نوفمبر سنة ١٩٣١ سافر « ركت هوجنبرج » إلى موسكو وعاد منها بمليون روبل ذهب للدعاية الشيوعية فى المانيا . ومن المدهش أنه وُجد فى مراكز همبورج وبرلين ودانزج أكثر من خمسة آلاف جواز سفر وعشرة آلاف شهادة ، كلها مزوّرة ، أعدت فى ظرف

أربع سنين . فاذا ما هرب شيوعى من سجنه فسرعان ما كان يُرَحَّل الى الحدود أو الى دنزج ومنها إلى روسيا على باخرة سوفيتية ، بجواز سفر أُحكم تزويره .

وكان الحزب الشيوعى الألمانى يرسل إلى موسكو عدداً كبيراً من الشبان يلقنونهم تعاليم البلشفية ومبادئها. وكان اختيار هؤلاء الأشخاص فى الأكثر من المجرمين والقتلة ومن اليهم . وإليك مثلين نسوقهما على سبيل الدلالة

ا) ويلى سيمون من برلين : كان على وشك أن يدان فى حادثة قتل الطالب توركس . فبينما هو جالس فى ٢٢ يناير سنة ١٩٣٢ فى مشرب جعة، جاءه شخص وأفضى إليه أن فى استطاعته أن يغادر البلاد بسهولة قبل أن توجَّه اليه تهمة القتل ، وذهب به فى سيارة استبدلا بها فى الطريق أخرى. وفى ٣١ يناير أتى له هذا الشخص بجواز سفر باسم كورت بارفلد وسافر ويلى سيمون الى الاتحاد السوفياتى .

ب) بول ميشاليس ، له حادثة مماثلة للأولى ورُحِّل بالطريقة نفسها إلى موسكو . كما كانوا يعمدون كذلك إلى سرقة جوازات السفر الخاصة بالخبراء الألمان الذين يعملون فى روسيا .

وعند ما اكتشف البوليس فى برلين فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٣٣ مكان تزوير جوازات السفر، وجد أختاماً وشهادات وتأشيرات لجميع من يقومون

بأعمال جوازات السفر والتأشير عليها فى القنصليات أو فى داخل البلاد . كذلك وجد عدداً من الشهادات الدراسية وشهادات الميلاد ، تشهد كل هذه الأشياء بالدقة والمهارة البالغة لمن قاموا بتقليدها، إذ كان يستحيل تمييزها إلا بعد الفحص الطويل الذى يقوم به الخبراء الماهرون . على أنهم كانوا يتوصلون إلى تقليد الأصل بسرقته طبعاً . ويؤيد ذلك اعترافات من قبض عليهم من هؤلاء المزورين أمثال ف . كارل و ك . ارفين ووالتر تستلروها هن وغيرهم .

ومن أساليب الشيوعية فى جمع المعلومات وتسهيل مهمة جواسيسهم ماحوته كراسة وزعت فى اجتماع شيوعى فى برلين فى أوائل فبراير سنة ١٩٣٣ :

١) هل فكرت فى اهمية الأحاطة بما عليه سكان المدن وخطتهم فى الحياة العامة ومجتمعهم، وعلى الأخص من يعملون منهم على معارضتنا ومناهضتنا؟

٢) هل تعرف أو تختلط بأشخاص ممن لا يعطفون على حركتنا ؟

٣) هل هناك بين معارفك مهندسون أو ميكانيكيون أو كيميائيون ممن يقومون ببحوث أو يتصلون بأغراض وأعمال حربية أو لك علاقات بمن يسيطرون عليهم ؟

٤) أيربطك بحزب الديمقراطيين الاشتراكيين أو جماعة النازى أو اتحاد التجارة الحرة رباط ؟

٥) هل لك علاقات مع أعضاء فى فرق الدفاع أو الهجوم أو أعضاء الخوذة الفولاذية من العمال ؟

٦) أتتبع تعاليمنا وخططنا وأوامر وكلائنا وما يرسمونه لك ؟

٧) أتعرف أن الشرطة تعمل جهدها لاغراء من يعملون فى لجاننا الرئيسية بالمـال ؟

٨) هل لك معارف بين رجال الجيش والبحرية ؟

٩) هل لك صديقات يستخدمن للتجسس علينا وعلى أعمالنا ؟ — وختمت هـذه الـكراسة بهذه العبارة : « لا تستهن بآن تجيب فأقل خبر فى نظرك قد يكون له عندنا شأن كبير » .

ولقد جمعت إجابات كثيرة فى مراكز عـدّة ودرست بدقة وحذر كبيرين مما كان له شأن يذكر فى مساعدة التجسس والجواسيس ، فجمعوا معلومات كثيرة عن فرق الهجوم والدفاع النازية رجالا وفرساناً ، وأسماء قوادها تفصيلا ، كذلك جمعوا معلومات واسعة عن مراكز الشرطة وما بها من قوات ليلا ونهاراً ، وعن معسكرات النازى والجيش والبحرية وما يتبع هـذه القوات من أسلحة وسيارات ومعدات النقل ، ثم طرق حراسة مخازن الأسلحة والذخيرة ومواقعها ، ونظم التدريب وتوزيع الأسلحة كل ذلك قـد أحاطوا به علماً . وتدرجوا إلى أكثر من ذلك فأحصوا

المعامل والمراكز الصناعية ، ووقفوا على مواضع إدارة القوى فيها ، وأحصوا جنود الاستيداع والرديف ، وقاموا بمسح جميع المعسكرات ودور الشرطة والحكومة بخرائط أثبتوا عليها جميع ما حصلوا عليه من المعلومات ثم وزعوا ذلك على فروعهم . وقاموا أثناء ذلك بدعايات واسعة فى خطابات كانوا يرسلونها إلى رجال الشرطة والجيش ونشرات يوزعونها بينهم حوت من التحريض على الثورة شيئاً كثيرا . و بلغ ما وزعوه منها قبل سنة ١٩٣٣ ، ١١٤ صندوق زادت فى سنة ١٩٣٣ إلى ١٨٣ صندوق .

وكثيراً ما عثر المحققون على محفوظات (أرشيف) مخبئة بحكمة وحذر تشتمل على ما بينا علاوة على كشوف أخرى بها أرقام التليفون الخاصة بالشرطة وضباطها ورجال القضاء وكثير من كبار الموظفين المدنيين والعسكريين .

وغنى عن البيان ما كانوا يستفيدون من ذلك ، كله ولا سيما مايختص بالمعامل والمراكز الصناعية ، ومواضع القوى الكهربائية والغاز فيها أومحل الذخيرة والسلاح مما كان له أكبر الأثر عند قيامهم بأعمال التخريب والتدمير التى اشتهروا بها . ولقد كانوا فى نشراتهم يحاولون تضليل الحكومة بما يضعونه عنواناً لكراساتهم مما يجعل الانسان يظن أنها كراسة فى الأدب أو العلوم أو الميكانيكا أو غيرها فى حين هى تطفح بما يرمون إليه . مثال ذلك صدرت كراسة بعنوان « اصطلاحات فنية فى الحرب » لمؤلفها

ڤاندورڤلد وأخرى بعنوان (Amotor cycle show ـ فى الموتوسيكل)
وما كانت تحوى الكراستان غير دعايات البلاشفة وما يحاولون بثه
فى النفوس . وكانت لهم طرق وأساليب شيطانية فى توزيع هذه النشرات
فكانت كثيراً ما توضع فى صناديق كبيرة للثقاب أو السجائر أو الحلوى
وما إلى ذلك ثم يحملها صبية إلى حيث يشاءون ارسالها . وعمدت
الشيوعية إلى أكثر من ذلك ، فافتتحت أندية للفتيات يدرّبن فيها
خفية على أعمال الجاسوسية وطريقة التقاط الأخبار والأسرار ثم يرسلونهن
بعد ذلك إلى الملاهى للاختلاط بالضباط . وكان لكل ما سبق من
وسائل التحريض والإغراء والاغواء نتائج اعتبرها البلاشفة نصراً لهم .
وشاهدنا فى ذلك ما ننقله حرفاً بحرف من الغازيته العسكرية للحزب
الشيوعى الألمانى من عدد أكتوبر لديسمبر سنة ١٩٣١ وكان يحمل غلاف
هذا العدد الخارجى هذا العنوان « فن المعمار الحديث » للمعمارى أوتوديبل
من زيوريخ .

« ألم تر كيف أتت حركة التحريض فى بروسيا فى الأسابيع الأخيرة
بنتائج باهرة ونصر مبين ! ألم تر أنه على أثر أن توقفت شرزمة من
الشرطة عن القيام بالخدمة ، انتشر صدى ذلك فى المعسكرات والمخافر
فرفضت فرقة كاملة القيام بالخدمة كما اعتصب فريق من حامية ليدن

ورفض الاشتراك فى القيام بالتمرينات والمناورات ، وأضرب ضباط الشرطة فى مراكز متعدّدة عند ما أعلنوا بخفض مرتباتهم ومنهم من رفع راية العصيان فى وجه الحكومة » . وذلك قليل من كثير . ولقد كان من جراء أمثال هذه النشرات مع ما يوزّعونه من مختلف الأسلحة أن انضم إليه كثير من رجال الشرطة والجيش السابقين معلنين عداوتهم للحكومة عاملين على مناهضتها . ولقد كانوا موفقين فى اختيار الأوقات الملائمة لتوزيع نشراتهم ونفث سمهم بين رجال الجيش والبوليس ، فكانت أكثر أوقاتهم رواجاً لنشراتهم أيام المناورات والتمرينات . وكثيراً ما عانت قيادة الجيش ورياسة الشرطة من الرفض الفجائى لاطاعة الأوامر والخروج على النظام من جراء هذه النشرات ، كما عانت المراكز الصناعية من الاضطرابات والاعتصابات وليدة تلك الحمى الشيوعية .

الاضطرابات الشيوعية

إن أول تمهيد للاستعداد للحرب الأهلية التى ينشدها الشيوعيون يقوم على أكتاف الخدمة السرية للحزب الشيوعى وجواسيسه وطلائعه الذين يناط بهم تنظيم العصيان العام . وتخضع هذه القوات لقيادة واحدة منظمة تركزها وتوجهها إلى عدوها جاعلة ماترمى اليه اكتشاف

خططه والوقوف على مواطن الضعف فيه ، ثم العمل على اتساع تلك المواطن حتى يصبح العدو فى حالة لايتمكن فيها من المقاومة عند مهاجمته .

وثانى تمهيد أن توجه إلى نقط الضعف فى مراكز العدو قوات من الحر ممتازة أحكم تنظيمها وعنى بترتيبها واختيارها كما لوحظ تدريبها وتجهيزها حربيا على الوجه الأكمل . و يبغون من وراء ذلك ضرب عدوهم ضربة واحدة لا تبقى عليه ولا يقوم له من بعدها قائمة . على أنهم لم يقصدوا فى وثورتهم ملاقاة العدو وجهاً لوجه أو مهاجمته فى معاقله ، بل كان كل اعتمادهم فى ثورتهم على فرق الرعب الشيوعية وما تقوم به من مفاجآت وتخريب وتدمير واغتيال ، فكان مصير الثورة فى أيديهم ونجاحها متوقفاً عليهم .

« إن الثورة فن كفنون الحرب والفنون الأخرى ، تجرى على قواعد معينة . و إن أية جماعة تهمل اتباع هذه القواعد لاشك تسعى إلى حتفها بظلفها . وهذه القواعد تتكيف حسب حالة الجماعة وما يحيط بها .

فأولا — يجب ألا يعمد الإنسان إلى الثورة أو يفكر فى القيام بها إلا بعد أن يرى فى نفسه الاستعداد التام للدعوة إلى البراز فى جميع الأحوال والظروف علماً بأن ظروف الثورة تتكيف مزاياها وقيمتها من يوم لآخر ، ولاسيما أنه يجابه قوات لها نظامها وحسن تدريبها وترتيبها البالغ حد

الكمال ، علاوة على الطاعة السائدة بينها. فاذا لم يقابلوا بمثل مالهم من القوة فسيكون المصير الهلاك المحتم .

ثانياً — فى الهجوم يجب أن تتبع طريقة المهاجمة والقبض على ناصية الحال ، فانّ مجرد فكرة الدفاع معناها الموت والقضاء على الروح المعنوية قبل الالتحام فى المعركة. وليعمل كل امرئ وسعه أثناء يومه للحصول على أنباء يومية و إن تك صغيرة ، فان أقل نجاح له قيمته كما أن أقلّ خبر له شأنه . و يجب مفاجأة العدو وفرقه مشتتة قبل أن تجتمع ، فانّ ذلك من العوامل التى تمكنك من السيطرة . واجتهد أن تلجىء العدو إلى التقهقر قبل أن يُركز قواته للهجوم . وأخيراً عليك باتباع نصيحة دانتون (المعلم الأول لتكتيك الثورة) الاقدام والجرأة ثم الجرأة والجرأة» . و إليك مثلا مما حواه أحد مؤلفاتهم « الطريق إلى النصر » لا لفريد لانجر « نحن لا نعرف للثورة السلمية أية قيمة ، بل كل ما نعمل له هو الثورة المسلحة . ومسألة التسليح فيها أن يجهز الانسان نفسه بأكبر عدد ممكن من الأسلحة مهما كان نوعها » . ولنذكر لك على سبيل المثال ماحوته إحدى نشرات لينين عن الأسلحة التى يمكن للثوار استعمالها « الخناجر والمدى والخرق المشربة بالبترول ثم الفؤوس والقنابل اليدوية إن أمكن ، و يمكن للعمال الذين يشتغلون فى المصانع الكيميائية أو المناجم أو فى نقل هذه الأدوات

بالطرق المائية أو الحديدية ، الحصول على أسلحة من الآنفة الذكر » .

ومما يقوله المؤلف « يجب ألا ينتظر الثائرون حتى تأتيهم الأسلحة من الأقسام والمراكز الرئيسية بل عليهم أن يجهزوا أنفسهم بمثل ماسبق ذكره من الأسلحة » . وليس بخاف ماللمثل هذه الأسلحة من الخطر الكبير فى أعمال التخريب والتدمير . وكثيراً ما عمد العمال بتحريض الشيوعيين إلى سرقة الأسلحة ، كما كان هناك قسم فى الحزب الشيوعى مهمته تهريب الأسلحة عن طريق حدود بلجيكا وهولندا وتشيكوسلوفاكيا. ولقد قبض على كثير من هؤلاء المهربين كاصودرت أسلحة كثيرة مهربة. ولم تكن معامل السلاح فى الداخل من المصادر العاملة على إمداد الشيوعية بما تخرجه بل كانت هناك سرقات منظمة تقع فى محال بيع السلاح والمنتجات الكيميائية . ولقد ضبط البوليس فى المدة بين سنتى ١٩٢٩ و١٩٣٠ أكثر من سبعين سرقة من هذا النوع . ولا تغيب عن الأذهان قضية فبراير سنة ١٩٣٣ أمام المحكمة العليا فى ليبزج حيث كانت المضبوطات عبارة عن مدفع ماكينة ثقيل و٥٣ مدفع ماكينة خفيف و٢١٧ بندقية كما ضبط كثير من الخامات الكيميائية التى تستعمل فى عمل القنابل . ولقد كانت لهم طرق خفية سواء فى نقل هذه الأسلحة والمفرقعات أو فى خزنها مع مافى ذلك من خطر . ولقد استعمل جميع ما أسلفنا ذكره من أنواع الأسلحة

ووسائل التدمير فى مظهر مخيف فى ثورة همبرج سنة ١٩٢٣ إذ كان الشيوعيون تفيض أيديهم بجميع أنواعها أفراداً وجماعات . وفى مايو سنة ١٩٣٢وجد البوليس أثناء تفتيشه منزل عامل المنجم بيروفسكى خمسين قذيفة ديناميت كما وجد فى نوفمبر سنة ١٩٣٢خمسين قارورة تحوى مساحيق كيميائية،لعمل المفرقعات فى منزل الشيوعى سبرنجر عضو البلدية فى تبلست مدفونة على بعد نصف متر من سطح الأرض . ـ وفى يناير سنة ١٩٣٣ وجد عند تفتيش منازل أربعة من الشيوعيين فى إسن إثنا عشر وقاء للغازات و إحدى عشرة أنبوبة تحوى غازاً خانقاً وأربعة ربطات تحوى مسحوقاً مدخنا وثلاثة قراابينات ، غير منشورات شيوعية . وقد اعترف أحدهم بسرقة ماوجدلديهمن أسلحة نارية من مخدومه . وغنى عن البيان أن ربطة واحدة من المسحوق المدخن كفيلة بدفن سكان شارع بأكمله تحت أنقاضه . وكان بين ما ضبط من الأسلحة ماهو غريب فى مظهره ، فمنها ما كان على شكل عصا أومظلة أو علبة سجاير أو قلم حبر . و إن مااستولى عليه البوليس لايعد شيئا بجانب ماأخفاه الشيوعيون فى المناجم المهجورة أو الحدائق أو الغابات و بالقرب من مجارى القنوات والأنهار استعداداً ليوم الثورة.

ولقد كانت طريقتهم فى تدريب الأعضاء الجدد قبل توزيعهم على الأقسام المختلفة أنهم يقسمونهم إلى فرق تجمع كل فرقة منها خمسة أشخاص يستغرق تدريبهم حوالى شهرين، فيدربون على الحركات الرياضية والملاكمة

والرماية وتمارين الميدان وحساب المسافات وقراءة الخرائط والاستدلال بالنجوم والبوصلة ورموز مورس والمصارعة اليابانية ، ثم يشتركون بعد ذلك مع الفرق القديمة فى التدريب على القيام بأعمال النسف والتخريب وعلى إلقاء القنابل اليدوية واستعمال الأسلحة المختلفة ثم على طرق الهجوم والدفاع و« تكتيك » الحرب على أحدث نظام ، كما كانوا يقومون بالتمرين على كيفية احتلال محطات السكك الحديدية وقطع المواصلات ومهاجمة المعسكرات . وكان أهم عمل بارز فى ذلك كله إطاعة المرءوس لرئيسه طاعة عمياء ، يؤمرون فيطيعون ولا يسألون . يحوطهم الحذر والصمت التام واليقظة والاستعداد الدائم . ولقد كونوا من إحدى مؤسساتهم وهو اتحاد أعداء الفاشست قوة ألحقوها بجيشهم الأحمر . وكانت تلك القوة تنقسم إلى وحدات كل وحدة تحوى خمسة أشخاص ، كى يسهل قيامها بالمناوشات مع صعوبة مقاومتها . مثلها فى ذلك حرب العصابات التى تتخطف الجيش المنظم . وكانت أولى وقائعها فى ٢٥ يناير سنة ١٩٣٣ وقد أسفرت عن قتل تسعة أشخاص . ووصف هذه الحادثة ضابط البوليس كجلرهم فيما يلى : « لقد كان خطيب الاجتماع الشيوعى الملازم فردريك من باتزن وكان يتكلم فى حماسة شديدة بتعبيرات ثورية . وكان عدد مستمعيه يقرب من ثمانمائة شخص . وفى الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة

والثلاثين دعا ضابط البوليس قوة للمحافظة على النظام . وما لبث على أثر معارضة ومناقشة بين الحضور وفردريك الشيوعي ، لم يرتح لها الأخير ، أن برزت جماعات من الممرات وأنذرت الحضور بأن يلزموا مقاعدهم . وهنا اعتلى ضابط البوليس كرسيا وأمر الحضور بالانصراف . فما لبث حتى ابتدأ أناس من الممرات يطلقون النار على البوليس ويقذفونه باكواب الجعة والكراسى وكل ماتصل إليه أيديهم مما اضطر البوليس إلى استعمال مسدساته دفاعاً عن نفسه . وعند ماصدرت الأوامر للبوليس بالكف عن اطلاق النار عاودت الممرات اطلاق النار فجاوبها البوليس بالمثل، مما أدى إلى قتل تسعة أشخاص ، منهم أربعة بأعيرة نارية »

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ألف هتلر الحكومة الجديدة وعلى أثر ذلك أصدر اتحاد أعداء الفاشست نشرة حض فيها جماعاته على أن يتهيأوا للعمل ويستعدوا له ليمحوا أصحاب القمصان السمراء من الشوارع .

ومما يذكر عن فرق الرعب وفرق أعداء الفاشست أنهم كانوا يدربون على المحاربة فى الظلام وعلى إطلاق النار فى الظلام لمباغتة العدو ليلا فى الظلام .ولقد كانت تلك الفرق هى قوام الكفاح الأحمر. ولقد أسرفت فرق الرعب الحمراء فى الفظاعة والوحشية إلى حد أنهم سمّوا آبار الشرب فى كثير من القُرى لإرهاب الناس وللاستيلاء على أموالهم . هذا عدا جرائمهم

الأخرى التى لاتحصى ولا تعد . ولقد ضبطت الشرطة فى دسلدورف فى أحد مخابئهم من سيانور الصود يوم وكبريتات النحاس مايكفى لسم دسلدورف على بكرة أبيها . ولقد كان أعضاء فرق الرعب هذه يرسلون خطابات تهديد إلى جيرانهم السكان الآمنين ليبعثوا فى قلوبهم من الرعب مايجعلهم يحجمون عن تقديم أية مساعدة أو معلومات لمعارضى الشيوعية السياسيين . وكثيراً ما كان يناط بفرق الرعب تدنيس كنائس أو نبش قبور أو تحطيم معارض محلات تجارية وواجهاتها ومخازنها . وبهذه المناسبة نذكر نداء وجهوه إلى المتعطلين نجتزىء منه مايأتى « إن معارض المحلات التجارية وواجهاتها فى برلين وهامبرج وبريمن تحطم يوماً بعد يوم . فلا تظنوا أن استيلاءكم على مافى هذه المحلات من السرقة أو الاغتصاب فى شىء . بل هو حقكم تأخذونه من الذين حرموكم من العمل ونتيجة ماجنت أيديهم عليكم »

ولقد كان ضحايا فرق الرعب من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٣٢ ثمانية قتلى من البوليس و ٨٧٠ مصابين باصابات خطيرة . وإن المقادير الكبيرة من الأسلحة والذخيرة التى ضبطت فى منازل أفراد قليلين منهم أبلغ شاهد على خطر فرق الرعب وشدة اجرامهم . ولقد توجه التيار الأحمر فى الأيام الأخيرة إلى مكافحة أصحاب القمصان السمراء بعد ما وثقوا أن قوى

الحكومة لاتقوى على المكافحة الطويلة ، إذ أدرك البلاشفة أنّه ليس فى دستور ڤيمار الخلاص لألمانيا و إنما هم النازى وحدهم أولياء هتلر الرجل الوحيد الذى إذا قال نفذ مانطق به و إذا وعد صدق وعده وأنه أقوى عُدّة فى المانيا .

كذلك كان كفاح بين أبناء الأمة فى رداء فرق الهجوم و بين أعداء الانسانية ممن يحملون شارة السوفيت . ولقد سقط صرعى هذا الكفاح فى هذا الميدان أكثر من مائتى شخص من فرق الهجوم دفاعا عن وطنهم المجيد وجرح وأصيب باصابات مختلفة ٢٠٣١٩ عضو من فرق الهجوم والدفاع . وقد ذهب كل هؤلاء ضحيّة فرق الرعب الشيوعية . ألا إن الشرف الذى توّج جبين هؤلاء الأبطال لايقل عما تُوّجَت به هامات المحار بين الألمان بين سنتى ١٩١٤ ، ١٩١٨ فضلا عن أن عدوّ الأولين لم يكن جنوداً أشرافاً ، بل كانوا شعبة مجرمين من الدخلاء وممّن أغواهم الشيطان من الألمان يُسَخرّهم و يتسلط عليهم أذكياء خبثاء من اليهود الشيوعيين واتباع ماركس . وسنسوق إليك على سبيل الاستدلال أمثلة من حوادث الغدر التى ذهب ضحيتها أبطالٌ من النازى : —

١) الشاب النازى تيودور ساندز من مواليد ٢٠ مايو سنة ١٩٠٩ —

ألقى من على دراجته أثناء تنزهه فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٣٠ وضرب بجسم صلب على رأسه وطعن بسكين فتوفى بعد يومين متأثراً بجراحه (٢) الطالب الشهيد العامل فى صفوف النازى هورست فسل مولود فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٠٧ ، أطلق عليه مرعى الشيوعيين النار فى ١٤ يناير سنة ١٩٣٠ وهو فى عقر داره فى أكبر شوارع فرنكفورت و باب منزله مفتوح إلى النصف (٣) الطالب هربرت توركس العضو بشبيبة هتلر. قتله أحد الشبان الشيوعيين فى ٢٤ يناير سنة ١٩٣٢ بأن طعنه ست طعنات وفر القاتل إلى روسيا السوفيتية (٤) فرتز هولمان من مواليد ٢٠ ابريل سنة ١٩٠١ قتلوه فى ٧ إبريل سنة ١٩٣٢ عند ملتقى شارع كريستبرجر وشارع جريفسفالدر (٥) فردريك شولتز من مواليد ٢٦ يناير سنة ١٨٩٣ قتل فى الساعة الواحدة بعد ظهر ٢ أغسطس سنة ١٩٣٢ (٦) أودوكورث من مواليد ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٠٩ قتل فى ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٢ . (٧) هربرت جاتشكا من مواليد ١٤ أكتوبر سنة ١٩٠٦ أطلقوا النار عليه فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٣٢ ومات بعد أسبوعين .

هذه أسماء قليلة من عدد الضحايا البالغ عددها ٢٠٠ قتيل ، ٣١٩ر٢٠ جريح من النازى بين سنة ١٩٢٨ — ١٩٣٢ ولا يفوتنا أن نسجل عدد من ذهبوا ضحية الواجب فى مكافحة الشيوعيين ، من رجال البوليس البروسى

والجندرمة بين سنة ١٩١٨ وسنة١٩٣٣ إذ بلغ عددهم ١٨١ قتيل و ١٥٣٢ جريح ، عدا ٦٧ موظفاً فى سنة ١٩٢٨ ارتفع عددهم فى سنة ١٩٣٢ إلى ٣٠٦ بما فيهم الضباط . هـذا على حين لم يخسر الشيوعيون ، وقـد كانوا المهاجمين على الدوام ، عدا ٢٩ قتيلا و ٣٧٨ جريح .

المعركة الفاصلة

وفى أواخر فبراير سنـة ١٩٣٣ كان الشيوعيون على أتم الاستعداد لضرب ضربتهم الفاصلة حالما تصدر لهم الاشارة بذلك . ولم يكن القادة يعينون ساعة القيام بهذا الهجوم أو هذه الثورة أو يحددونها ورأيهم فى ذلك خيفة تأجيل التأهب الى قرب الموعد المضروب . فلذلك كانوا دائماً على قدم الاستعداد . وفى بداية فبراير سـنة ١٩٣٣ اجتمع قادة الثورة الشيوعية المسلحة وترأس الاجتماع أو لبريس ، وشنللر ، هنز كينبرجر وتلقوا تعليمات وأوامر لجنة الشيوعيين المختلطة . على لسان الزعيم الغربى فى موسكو اليهودى مانويلسكى . وكان المعروف من خطتهم أن تبتدئ الثورة فى إقليم الرين الأعزل وعلامة ابتدائها قتل المستشار هتلر فى زيارته المنتظرة ، ثم تحتل بالقوة فى نفس الوقت البنايات العامة والجسور والسكك الحديدية ومراكز الشرطة والمعسكرات وغيرها . وكان أركان الحرب

الرئيسية مجتمعين فى كريفلد وديرن ، على حين لم تكن الهيئة التنفيذية مجتمعة فى مكان واحد خيفة كبسات البوليس . وكانت القيادة الحربية فى يد اليهودى الروسى ڤولنبرج يعاونه فى ذلك يهودى آخر يدعى لاندسمان . ورُتبت ثانى خطوات الانقلابات على أن تكون فى الحى الصناعى فى سيليزيا العليا ثم تلحق بها برلين بعد وقت قصير .

وان ماسنسرده من طرق تدبيرهم للانقلاب مع وصف استعدادهم له وما دبّروه من أساليب الغدر والخيانة والتآمر فيما يلى لما لايصدقه عقل بشرى أو يتصوره .

ففى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٣ وصلت أوامر عامة لفروع الحزب فى جميع المقاطعات وعقد اجتماع حضره الزعماء الشيوعيون الممتازون وقرروا فيه خططهم وما يتبعونه فى هذه الثورة . وقد أحاط البوليس فى هنز برج علماً بما ينوون عمله من اضرام النار فى المبانى العامة والكبارى وخلافه ، كما نقشوا على الحوائط بحروف كبيرة هذه العبارة « أيها العمال جهزوا أنفسكم بالسلاح » . وبعد أيام قلائل تلقت السلطات فى الروهر أنباء تفيد بأن فرق الرعب الشيوعية تنوى مهاجمة البوليس ليلا واطلاق النار عليه بلا انقطاع فى حين ينقض أفراد منهم على الضباط الجرحى فينتزعون أسلحتهم . وظهرت بعد ذلك فى تلك المقاطعة بوادر عصيان وتمرّد شديد . وعند تفتيش بعض مساكن

فى « كامين » للبحث عن السلاح عثر على خطة الثورة المحلية مكتوبة بالشفرة مع ماتنويه فرق الرعب من القبض على كبار الموظفين والأطباء وأعضاء الجمعيات وأخذهم كرهائن ، ثم احتلال المبانى العامة ونسف السكك الحديدية والكبارى . ولقد توصل البوليس فى بورتسيد إلى الاستيلاء على طن ديناميت بأكمله . وتوالت الأخبار من جميع الجهات فى أنحاء البلاد بوقوع اضطرابات ، كما حدثت سرقات كبيرة كثيرة فى المصانع الكيميائية ومحلات بيع الأسلحة ، فحدث فى هانوفر ، وكان قد حُدد للثورة فيها فى اجتماع الشيوعيين يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٣٢ ، يوم يتولى هتلر مقاليد الأمور ، أن سكب الثوار بالقوة أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ لترا من البترول ذهبت هباء .

و إليك وصفاً مختصرا لما وضعوه من خطط الاضطرابات والقلاقل فى الشوارع ، مما حونه نشراتهم « إن استعمال الأسلحة النارية لايغنينا فتيلا فوالحالة هذه لاسبيل للنصر لنا إلا باستعمال الوسائل الكيميائية . فحالما يقفز رجال البوليس من سيارات اللورى يجب معاجأتهم بسكب احماض الكبريتيك المركز عليهم فتتشربها ملابسهم فى الحال ولا يعوق سريانها شيئاً . وللتغلب على فرق البوليس التى تحمل مدافع رشاشة يجب أن تجهز قوارير ملأى بالبترول وتلقى فى عرباتهم تتبعها فى الحال خرق مبللة

بالبترول ومشتعلة ، وما أسرع مايعلو اللهب فى الحال وعندئذ يمكن مواصلة الحريق بامداده بالحطب والوقود ويمكن استعمال نفس الطريقة فى مبانى البلدية والسكك الحديدية وخلافه . وكما يمكن استعمال صفائح اللبن المثقوبة لهذا الغرض » . وكان يرسم خطط تكتيك حرب الشوارع ويشرف عليها نيومان وكيننبرجر مستمدين من خطط لينين وجيشه الأحمر العون .

ولقد كان الثوار مزودين بجانب ذلك بالقنابل اليدوية والفؤوس والبلط والسلالم المصنوعة من الحبال . كما كان لكل قائد وزعيم أن يختار من الأسلحة مايراه ملائماً لموقفه .

وفى ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٣ أذاع المركز الرئيسى الشيوعى منشوراً سرياً على فرق الرعب قال فيه « يا أصدقاء لقد حددنا موقفنا مع حلفائنا فعليكم بالالتحام بأسلحتكم وجهاً لوجه مع الفاشست ، واجتهدوا أن تجردوهم من أسلحتهم وعليكم بتسليح طبقة العمال وصغار الفلاحين ومدهم بجميع أنواع السلاح ، ثم عليكم بمطاردة أصحاب القمصان السمراء من بين صفوف العمال . يا رجال الشرطة ، انضموا إلى إخوانكم العمال فأنتم منهم تقاسون مثل ما يقاسون ، وكافحوا هؤلاء الفاشست لتحكموا أنتم وزملاؤكم ، فعليكم بمساعدتنا فيما نعده من ضربة قاضية تحصلون بها على حريتكم وحرية الاجتماعات وحرية الصحافة . لقد أخذت ساعة العمل تدنو . لقد أخذت

. شارة الابتداء تلوح . لارحمة ولا عفو أيها النازى »

وأعطيت اشارة الابتداء بالثورة فى مساء ٢٧ فبراير سنة ١٩٣٣ وكان علامة بدايتها إشعال النار فى بناء الريشستاخ ذلك الحريق الهائل الذى دمر القبة والصالة الكبرى واستمر من ٢٧ فبراير إلى مساء اليوم التالى فكان شعلة هائلة أظهرت للعالم الحالة السياسية فى ألمانيا تحت ضوء وهاج . وفى نفس الوقت شبت نار الحرب الأهلية الهدامة فى أماكن متعددة ، وما لبثت حتى جرت ذيولها فى ٥ مارس سنة ١٩٣٣ إلى برلين .

وفى المدة من ٥ مارس سنة ١٩٣٣ إلى ٩ منه عملت أيدى التخريب والتدمير فى السكك الحديدية والكبارى والمعامل والمصانع الكهربائية والكيمائية والمعسكرات ، كما تعددت السرقات ونشطت الجواسيس الشيوعية وامتدت أصابعها إلى المناجم وعمالها تذكى فيهم نار الثورة وتبعث فى نفوسهم حب الاعتصاب وتحرضهم عليه وعلى القيام بأعمال التخريب والتدمير .

ولقد لاقى أبناء ألمانيا أعضاء فرق الهجوم والدفاع ورجال الشرطة ، من العنت وتلقوا من الضربات الشديدة ماجعلهم على قاب قوسين أو أدنى من التسليم ، لولا أنها أمهم ألمانيا ولولا أنهم ألمان مخلصون

وإن المجال لا يتسع لسرد عدد الضحايا الذى لا يحصى ، ولا لتقدير الخسائر الفادحة التى لاحصر لها ، نتيجة تلك الثورة الشيوعية أو نتيجة

الاستعداد لها . وما هى إلا أيام حتى قضى على تلك الفئة الشريرة واجتثت ثورتهم من أساسها ، وكان مصيرهم إلى حيث قال لينين فى كتابه « نصيحة ثمينة من بعيد » : —

« إن القيام بثورة عامة ليس بالأمر المستحسن أو المرغوب فيه أو الذى يمكن ضمان اتقانه . فاذا ما ابتدأ الانسان بها فانه لابد مرغم إلى مصاحبتها وملازمتها الى النهاية المرة »

وهكذا انقلبت النتائج الى صف النازى فكانوا هم الفائزين ، ورأينا الشيوعيين يقعون فيما حذروه وتجنبوه ونوهوا عنه فيما وضعوا من نظريات ، فلقد قالوا « إن الخسائر فى الردة والتقهقر لاتقارن فى فداحتها بخسائر الالتحام إذ الأولى لا تكون إلا بعد ضربة قاضية ترغم على التقهقر فى غير نظام مما يؤدى إلى نتيجة مريرة »

وهكذا ختمت صفحتهم فى ألمانيا .

المجهود الثانى

إن أيام سنة ١٩٣٣ الحاسمة فى تاريخ ألمانيا كانت درامة تاريخية عنيفة على مسرح الحوادث فى ألمانيا ، فلقد كان تصادم بين ثورتين ، بين ثورة الحق و بين عصيان الباطل ، وكانت نتيجة ذلك التلاحم العنيف

وخلاصته تحطيم بناء الحكومة القائم آنئذ واعادة بنائها أكمل أساساً وأتم عقدا .

ولقد بقيت الأمة الألمانية ظافرة يكللها النصر فى الميدان بعد أن قضت على أعدائها ومحت خصومها . وما حاربت تلك الأمة لنفسها أو لحريتها أو لمستقبلها فقط ، انما حاربت ضد الشيوعية والبلشفية وهى تحمل على كتفيها عبء جميع الأمم فى غرب أوربا بل وعبء الانسانية والعالم أجمع .

ولقد كانت موقعة فاصلة حاسمة بين الاعتقاد واليقين الثابت بالله وبين نكران الألوهية له ، بين النظام الوجدانى وشرائع السماء وبين الاشتراكية العامة ، بين الشرف والضمير والأخلاق والفضيلة فى جانب وبين الهمجية والاجرام والتعطش للدماء والرذيلة فى جانب آخر وكان ميدان الموقعة أرض ألمانيا ، وكان جنود الحق فيها أبناء ألمانيا . كذلك انهدّت « ثورتهم العالمية » وانقضّت أركانها . ولسنا بحاجة إلى بيان خطورة حوادث ألمانيا فى فبراير سنة ١٩٣٣ وأهميتها العظمى فى دائرة معارف التاريخ العالمى الحديث . ولقد يتوهم بعض الناس أن هذا الكفاح بسبب خطورته ، قد كلف النازى أنفسهم وقضى على خلاصتهم على أن النصر الذى حازه النازى وإن كان القضاء على الشيوعية من أسبابه فان هذا الكفاح لم يكن كل أسباب النصر والفوز ، فان القضاء على الشيوعية

فى ألمانيا لم تكن مسألة كسب ثقة أو تأييد ، إن هو إلا حقيقة تاريخية سجلتها ثورة النازى التى هى خليقة فى حد ذاتها أن تسجل حوادثها وأسماء من تولوا قيادتها بعداد الفخر والخلد فى سجل التاريخ .

ولم يكن استئصال الشيوعية فى ألمانيا مسألة كفاح الشرطة وقوتها لها حفظاً للنظام ، ولكنها مسألة تركيز النازية فى البلاد بعد القضاء على شرور الشيوعية واليهودية . وإذا كان استئصال الشيوعية ابتدأ بابتداء ثورة النازى فانه سينتهى باستكمالها لأسبابها . فلم يكن الديمقراطيين الاشتراكيين ولا حلفائهم من حزب الوسط أى موقف يشتم منه رائحة المعارضة للشيوعية بل كانوا يتركون لهم الحبل على الغارب مما كان له أثره السىء ونتائجه .

كذلك بين النازى للناس فضائح اليهودية والماركسية والشيوعية ومخازيها ، إذ كانت النازية ألد عدو للبلشفية وأوليائها . كذلك وجد سوفيتوموسكو فى السويداء رجالا .

وإن ما قاسته ألمانيا من إثارة الحرب بين الطبقات وتحريض الرعاع على الثورة وما تحملته من جراء معاهدة فرسايل وتقدم الشيوعية واتساع نطاقها فى البلاد ، كان أغلالاً وقيودا فى رقبتها .

لقد خرجت حركة النازى من الماضى لتعمل لمستقبلين : مستقبل المانيا ، ومستقبل السلم فى العالم ، بما مهدت له من القضاء على الشيوعية .

فليس ثمة أمة كان يروقها أن ترى قلب أوروبا متشرباً بالشيوعية متشبعاً بها ، الأمر الذى يجعله أخطر مصدر لتهديد السلم العالمى .

ولقد تزعمت ألمانيا الحرب ضد البلشفية ، ضد عدو العالم والانسانية ، وأدت رسالتها بأمانة وضربت بذلك مثلا عالياً فى انتصارها للسلم العالمى. فكان ذلك برهاناً وتأكيداً عظيما لرغبتها فيه . وإن القضاء على الشيوعية ومبادئها فى المانيا مجهود هائل ينحنى أمامه العالم المتمدن بأكمله فى تجلة وتقدير .



هتلر وموسولينى

إن أروع مظهر من مظاهر تطور الهيئة الاجتماعية بعد الحرب العالمية قيام مصطفى كمال فى تركيا وموسولينى فى إيطاليا وشاه بهلوى فى إيران وهتلر فى ألمانيا . هذا التطور الذى ترى فيه الشيوعية وأمثالها خصما قوياً وعدواً لدوداً يكافحها و يجالدها فيشتت من شملها و يبتر من أعضائها الفتاكة . وإن هؤلاء الأربعة وهم أبطال نشئوا نشأة عصامية و بنوا مجدهم بأنفسهم ومجد أممهم معهم ، لا يتسع المجال هنا للموازنة بين أعمالهم وخططهم . فلذلك نقتصر على الموازنة بين هتلر وموسولينى ، لما يتوهمه بعض الناس من أن هتلر حذا حذو موسولينى واتخذه مثلا فى كفاحه كما اتخذ من تعاليمه وخططه مددا ، ويؤيدهم فى هذا الزعم من الكُتّاب أمثال الكاتب الانجليزى ارمسترونج وغيره .

لا جدال فى أن الهيئة الاجتماعية فى ألمانيا منذ وضع أساسها بسمارك وتعهدها ، إلى إعلان الحرب ، لم تكن هناك هيئة فى العالم تدانيها فى متانة البناء وسلامة التركيب . ولقد ولد فى ألمانيا كارل ماركس أبو الاشتراكية ونشر تعاليمه التى لم تجد فى ألمانيا وقتئذ أذُن صاغية فى حين استمع له فى انجلترا حين رحل إليها وانضم إليه أنصار كثيرون ، فكان تآلف بين طبقات

الأمة فى ألمانيا وتكاتف كفل القضاء على ما أراد ماركس من إثارة الحرب بين الطبقات . فكان ماركس من ألمانيا كالوعل من الصخرة لا يضيرها ولكنه يوهى قرنه .

وجاءت الحرب وتكاتف أعداء ألمانيا السابقون بل قل تكاتفت أوربا للقضاء على ألمانيا فكان انكسار أعقبه انقلاب نوفمبر سنة ١٩١٨ الذى قام فى الواقع يستند إلى أيد أجنبية ولأغراض أجنبية فكاد يأتى على البناء القومى بعد أن هزه هزا وطاح برمزه وراعيه وهو الأمبراطور . وانتشرت فى البلاد عوامل الفوضى ونفثت الشيوعية سمومها فيها وقصدها اليهود من كل فج ، كل يبغى من الفريسة غنما ، فازدادت الفاقة واشتدت الأزمة الاقتصادية وتلتها أزمة التضخم النقدى التى أودت بثروات كثير من الطبقة الوسطى مما زاد الحياة الاقتصادية حرجا . كما سببت زيادة العمال المتعطلين زيادة مخيفة زاد معها سخطهم وتذمرهم . ذلك قليل من كثير مما لقيه هتلر وواجهه فانتصر عليه ووضع أساس بناء يكاد يكون فيما يؤمل أمتن تكويناً وأوثق عقدا من الصرح الألمانى قبل الحرب .

لم يواجه موسولينى شيئا يذكر بجانب ما ذكرنا ، وليس فى ذلك غمط أو إنكار لبطولته أو للعمل الجليل الذى قام به ، فقد خرجت إيطاليا من الحرب رابحة يكللها النصر وليس لها أعداء يذكرون كما لم يكن لها

لها قبل الحرب أعداء سابقون ، فكانت فى ذلك على النقيض من ألمانيا تماما .

لقد واجه موسولينى الشيوعية فى مبدئها وحداثتها وأول عهد تكوينها مع جمع من الماسون والجمعيات السرية فقضى عليها ، ولم يكن هناك إذ ذاك من الدول القوية من لها مآرب فى القضاء على إيطاليا أو إذكاء عوامل الاضمحلال فيها ، كما لم يكن بالبلاد نفسها دخلاء يعملون تسندهم أيد أجنبية لهدم البناء الفاشستى فى مبدأ تكوينه وتقويض أركانه . كذلك لم يواجه موسوليني لأول عهد ثورته جيوش هائلة من العمال المتعطلين كما واجه هتلر جيش يقرب من ستة ملايين عاطل وليس له من المستعمرات مثل مالايطاليا ، بل لم يكن له شىء البتة مما قد يستطاع به تفريج أزمة المتعطلين فيقفل بذلك هذا الباب فى وجه الشيوعية التى رأت فيه لمبادئها مرتعاً خصيباً ،

ولكى يعلم القارىء الكريم مبلغ رواج مبادىء الشيوعية بين العمال وسرعة انتشارها بينهم نقول إن العامل اليوم فى سويسرا التى لبس بها أزمة عمال متعطلين يسكن منزلا غاية فى النظافة ينار بالكهرباء وينال الأجر الحسن ، ومع ذلك لا ترضيه عيشته ولا هو قانع بما هو فيه فهو دائم التذمر والشكوى ، فقد أوهمته الشيوعية « أن الفضل يرجع فيما ناله إلى اتباعه لمبادئها ـ ولو بطريقة غير مباشرة ـ فسبب ذلك تقدير القائمين بأمره له

وخوفهم بأسه. فما عليه إلا أن يطلب المزيد دائماً »

كذلك لم يواجه موسوليني اليهود وصحافتهم الغنية القوية الواسعة الانتشار تحاربه وتشوه سمعته وسمعة العمل الجليل الذي يقوم به فتجد مرتعاً خصباً لأراجيفها وما تفتريه في جميع أنحاء العالم، كما فعلت بألمانيا أثناء الحرب . ولم تكن إيطاليا المرتع الخصب للشيوعية ولا كانت كما نعت الشيوعيون ألمانيا بأنها « باب أوربا الذي يجب أن تنفذ منه الثورة العالمية » .

ومع ذلك فقد نجح هتلر وقضى على كل ما صادفه من عقبات وانتصر انتصاراً مبينا على القوات التي تضافرت في القضاء على ألمانيا ، ومحا في يوم اخطاء أربعة عشر عاماً . وأكبر دليل نستشهد به أن ينخفض عدد جيش العمال المتعطلين بعد سنة واحدة من تولى هتلر الحكم من حوالي ستة ملايين عامل إلى ٢٠٨٠٠٠٠٠ في حين يهمس الناس اليوم بأن إيطاليا تشرف على أزمة عمال خطيرة . ومع هذا فليس بالنصر القاطع أو بالباهر أن يبقى أكثر من مليونين من أبناء البلاد لا يستطيعون العيش فيها أو حتى زيارتها بسبب مبادئهم السياسية التي تتنافى مع مبادىء الحكومة القائمة بالأمر في البلاد . ذلك ما حدث تماماً في إيطاليا البالغ عددها حوالي خمسة وثلاثين مليونا مما يشعر المرء بأن هناك في تلك السياسة الكثير من الارهاق ، على حين لو فرضنا وسلمنا جدلا بأن جميع اعداء هتلر قد غادروا ألمانيا « مع تأكيدنا ببقاء

جميع الذين استوطنوا ألمانيا قبل الحرب من اليهود وغيرهم فيها يعيشون عيشة رغدة ذلك مما استقيناه من أصدق المصادر ومن يهود ألمان من برلين زاروا مصر فى شتاء سنة ١٩٣٤ ومنهم من يقيم الآن بمصر » فان عدد اليهود فى ألمانيا لم يكن أكثر من ستمائة ألف بين ستة وستين مليونا فى ألمانيا .

لقد نقل هتلر عن موسولينى تحيته وتصميم قميصه ، وليس معنى تقليدى لتفصيل ثوبك أو تصفيف شعرك أنى نقلت مافى رأسك .

ولو أن هناك مهداً ترعرعت فيه الدكتاتورية ووقفت فيه على قدميها قبل أن يقيمها موسولينى فى بلاده ثم يدعى المدعي أن هتلر قد أخذها عنه فذلك المهد كان ألمانيا قبل الحرب يرعاها الامبراطور فلهلم من فى عهده لم تعرف ألمانيا حزباً غير حزبه أوجماعة غير أتباعه . كذلك لم ينقل بسمارك فى تكوين الوحدة الألمانية عن كافور او يأخذ عن غاريبلدى .

ألمانيا والسّلم العالمى

لعل أكبر حادث اهتزت له أوربا واهتز له معها العالم أجمع منذ عقدت معاهدة الصلح (فرسايل) إلى الآن ، هو انتصار ثورة النازى فى المانيا ، ذلك الانتصار الباهر الذى اقترن باستيلاء الزعيم الأكبر أدولف هتلر على السلطة في المانيا . وإذا ما ابتعدنا عن حدود المانيا نجد أن المركز السياسى العالمى قد تحسن تحسناً كبيرا بوجه عام منذ عقدت معاهدة فرسايل . فتركيا واليونان اللتان كانت رحى الحرب دائرة بينهما قبل نيف وعشر سنوات قد تصافيا وتحابا ، فأصبحنا نرى العلم التركى يرفرف فى ظلال الاكروبول على حين أن العلم اليونانى قد أظلته تلال انقرة الصفراء . كذلك قل عن الموقف فى البلقان والنمسا وما سلخ منها

لقد قام أعداء المانيا والذين يوجسون خيفة من تولى هتلر الحكم فى المانيا يقولون إن النازية تقوم بتدريب الأمة تدريباً رياضياً عسكريا وإن الشباب الألمانى يباشر الآن الرياضة البدنية ويمارسها بجد ونشاط فتراه يمطع أنهارها بين تجذيف وسباحة ويملأ غاباتها بالمعسكرات يعيش فيها عيشة التقشف والزهد ، وهكذا يعد نفسه ليكون جنوداً أشداء مستعدين

لتلبية نداء الوطن إذا مادعا داعى الحرب ونفخ فى أبواقها .

ولقد فسر هؤلاء المتشائمون هذه الحركة بأن المانيا انما تستعد بها لمثل ماقامت به سنة ١٩١٤ ، وأن هتلر إنما يروم الحرب بهذا التدريب العسكرى . ولعمرى كيف تتعجل المانيا الحرب فى زعمهم وإلى متى يعيش ذلك الوهم فى خيالهم وألمانيا لاتزال تئن من فرط ماعانت وقاست وتحملت فى الحرب الأخيرة . ألم تكن ألمانيا التى أعلنت أنها تؤمن بأن الحرب القادمة ستكون حرب غازات ومدرعات وتانكس وزواحف ، وستكون حربا كيميائيةوجويةتجلب معها الدمار والخراب والفقر وتجرف معها الضحايا ، وأن الغالب سيخرج منها بحالة لاتفضل حالة المغلوب ! أو بعد ذلك كله تنظر المانيا إلى الحرب بمنظار قرمزى ؟ ! ألم يكن فيما أدلى به هتلر فى أنه يكف عن المطالبة بنصيب ألمانيا فى التسليح إذا نزعت الدول الأخرى سلاحها ، الكفاية للتنويه بنيات المانيا نحو السلم العالمى ! ثم ألا ترى معى فيما أدلى به الدكتور جوبلز إلى الصحفيين فى چنيف من أن المانيا الفتاة لن تعقد بعد اليوم معاهدة لاترى نفسها قادرة على تنفيذها لانها تنوى أن تحترم ماتتعهد به ، مثلا آخر على حسن نيات المانيا نحو السلم العالمى ؟!

ولقد دعم ذلك كله الجنرال جورنج فى حديث له نشرته مجلة — «Paris Soir» فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ قال فيه «نحن لانريد الحرب، وانا

كجندى خاض غمار الحرب سنين بأكملها أقول لك ذلك ولا أخال نفسى إلا معبراً عن رأى الوطن ورجاله شعباً وحكومة . نحن لاننسى ماظهر فى الحرب الأخيرة من بسالة و بطولة كالن ننسى ماذهب من ضحايا . ولا يغيب عن الأذهان الثمن الذى دفعناه غالياً . ولئن طلبت حكومات الحرب فان ذلك لايدهشنا . فنحن فئة يحكمنا زعيم نتبعه هو من صميم أبناء الشعب . ولن تحارب ألمانيا لاسترداد شبر من الارض فقدته ولن يكون ذلك ، أما إذا هاجمنا من يعمل على إبادتنا وفنائنا والقضاء علينا فالحرب ثم الحرب إلى آخر رجل و إلى آخر رمق و إلى آخر نبض . ليس فى نفوسنا اليوم حقد ولا نضمر الكراهية لأحد ولا يجول بمخيلتنا أى فكرة للأخذ بالثأر ولقد كانت هناك أغنية وطنية قديمة : —

Siegreich wir wollen Frankreich schlagen

(مظفرين نريد أن نضرب فرنسا) منعناها ومنعنا ترديدها وترجيعها منعاً باتاً . نحن محاطون بممالك تربطها جميعاً بفرنسا معاهدات وتحالف ، فنحن عرضة للغزو من أى اتجاه أفلا يجب على الأقل أن نكون فى موقف الدفاع عن أنفسنا ؟ وهل يلومنا أحد إذا عملنا لذلك ! ؟ . وهل فى مقدورنا ونحن فى حالتنا الراهنة الآن بأساحتنا القليلة وأسطولنا الجوى الصغير أن نصد أو نقاوم أية عارة جوية ؟ » .

إنا لنرى اليوم على الرغم من الدعاية لنزع السلاح كيف أنه إذا بنت دولة بارجة كبيرة قامت دولة أخرى بمنافستها في بناء بارجة أخرى أكبر من الأولى ، وبهذا تتسع دائرة المنافسة في التسلح . وفي رأيي أن زيادة التسلح تمهد للحرب ولا تعمل للسلم . فلقد كانت نتيجة تنافس دول أوربا العظمى في التسليح ، ذلك التنافس الذي أخذ مجراه من سنة ١٩٠٨ إلى ١٩١٤ مما أدى إلى زيادة نسبة التسلح الأوربي بمقدار ٧٠ ٪ ، أكبر حرب عرفها التاريخ . ويؤيد نظريتنا هذه ماصرح به المستر بلدوين في ١٦ اكتوبر سنة ١٩٣٠ « ان زيادة التسليح في أوربا وتغالى الأمم الأوربية فيه وتنافسها يدفع العالم إلى فوهة البركان . وأكاد أجزم أن الحرب المقبلة معناها آخر العالم ونهاية الحضارة وانتحار الانسانية »

إن ألمانيا محاطة بقوى عسكرية جوية على استعداد تام يجعلها تهدد ألمانيا في كل حين، فلا أقل من أن يترك العالم ألمانيا وقد حرم عليها التسليح، تعمل على حماية أبنائها فتلقنهم طرق الوقاية من الغازات وتدربهم عليها . فماذا يضير العالم وما الذي يهدد السلم إذا لقنوا الشبان طرق الوقاية من الغازات الخانقة وشرحوا لهم مبلغ تأثيرها شرحاً دقيقاً ؟ . إن ألمانيا بعد أن رأت عجز مؤتمر السلاح عن نزع سلاح الامم الأخرى أخذت تطالب بحقها المشروع في التسلح . ولئن قام المغرضون يتساءلون أى عدو يهدد

المــانيا حتى تطلب التسلح ضده ؟ فالجواب على ذلك سؤال بسيط نسأله «ما الذى يهدد انجلترا أو فرنسا اليوم حتى زادتا فى تسليحهما وأكثرتا من تحصينهما وأى عدو يخشيان بأسه ويستعدان له ؟ ؟ »

إن السلام العالمى لايقوم إلابالمساواة فى التسلح. ولقد نشرت المانشستر جارديان فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٣٣ مقالا لمستر استانويك قالت فيه « إن كل تأخير ومماطلة فى تقرير حق المانيا فى التسليح ومساواتها مع غيرها من الأمم الـكبرى يعمل على تقوية الروح العسكرية فيها فإذا كنا نبغى أن نأمن جانب المــانيا وإذا كنا نريد أن نعمل للسلم حقيقة ، فلا أقل من ان نقرر مــساواة المانيا فى التسليح مع غيرها . نحن نعلم كل ذلك ولـكننا نتردد فى تقرير هذا الحق » .

إن التجنب الحقيقى للحرب لايكون إلا بتقريب وجهة النظر بين الأمم المتحكمة فى مصير السلم مع بث روح التعاون والوئام بينهما ، وان أتم عمل وأجل خدمة تقدم للسلم هو السماح لألمانيا بالتسلح ومساواتها مع غيرها وتسوية ديونها أو تأجيل دفعها . فان الذين دفعت لأجلهم هذه الديون وقررت لهم هذه التعويضات لاوجود لهم الآن اللهم إلا بين الثرى وفى أعماق القبور من ضحايا الحرب . أما معظم الذين يتلقونها بيمينهم الآن ممن يتولون الحـكم فى العالم فقد كان أكثرهم صبية أثناء الحرب فماذا

عليهم لو تركوا هذا الصك لأبنائهم أو حفدتهم يتولون تحصيله ! ؟

ولعلّ الذين يحجمون عن الاتفاق مع حكومة هتلر رجل الأكثرية الساحقة فى ألمانيا يدركون أنّه لو بُعث ستريزمان الرجل الذى يعجبهم أو أُتى ببريننج إلى كرسى الحكم ، فان هذين الرجلين ان يجدا فى ألمانياوليا لهم أو نصيرا . فالأفضل الاتفاق مع رجل الأكثرية وزعيم الغالبية .

وليس هناك من سبب فى القول أن هتلر لن يستمر فى نجاحه فى حكم ألمانيا نظرا لتذمر العالم الخارجى منه . فهاهى انجلترا وكل أرض تحتلها جنودها متذمرة منها وساخطة عليها سخطا لا يقاس بسخط أعداء ألمانيا على هتلر ، ومع ذلك فنجم الامبراطورية المرنة آخذ فى الصعود .

ولئن قيل إن المانيا إذا سمح لها بالتسلح ستتعجل وقوع الحرب فى أقرب فرصة فانه لضرب من الوهم والخيال أن يتصور امرؤ أن المانيا التى حطمتها الحرب الماضية فأصبح عدد سكانها ٦٦ مليونا بلامستعمرات ولا نقود ، تقدم على الوقوف أمام العالم المسلح الذى ليس لها بين أممه صديق واحد.

ولئن رموا ألمانيا أو اتهموها بانها تعد الخطر الأكبر على السلم لابتدائها الحرب الأخيرة ومبادرتها إلى اعلانها ، فان المانيا وقد كانت مطوقة بأعدائها الذين حشدوا قواتهم على حدودها ، لم تنتظر حتى تطعن فى عقر دارها فذهبت تهاجم من تربصوا بها .

ص	س	خطـــأ	صواب
٨	٧	أمبراطورية والنمسا والمجر	أمبراطورية النمسا والمجر
١٠	١٤	النواب ١٨٧٦٠٠٠ صوت	النواب بـ ١٨٧٦٠٠٠ صوت
١٠	١٧	يُدور	يدور
٢٢	٣	مما اصطر رؤساءه	مما اضطر رؤساءه
٣٢	٥	من اليهود الشيوعيون الاشتراكيون	من اليهود الشيوعيين والاشتراكيين
٣٣	٧	مادام يحمل	مادام لايحمل
٣٥	٩	« كوبنجز بلاتس »	« كوبنجز بلاتس »
٤٢	٣	إشتات	أشتات
٤٥	٢	لمحاربة مشروع الذى	لمحاربة مشروع يوبج الذى
٦٣	٦	راية لبسمارك	راية بسمارك
٩٥	٧	المذاهب الدوتستانتى	المذهب البروتستانتى
٩٧	٦	يهودى	يهوديا
١٠٠	٦	لخنال	لخيال
١٠٦	٩	ومصلحة	ومصلحته
١٠٦	١٠	بسبب الدعاية اليهودية ،	بسبب الدعاية اليهودية خلدت
١٠٩	٧	بعيرها أدنى رابطة	بغير أدنى رابطة
١٣٨	٧	فى وثورتهم	فى ثورتهم
١٥٦	٥	نشئوا	نشأوا
١٥٦	٩	عاطل	متعطل
١٦١	٨	لعلم اليونانى	العلم اليونانى
١٦٤	٥	التسليح	التسلح
١٦٦	٥	لهم	لهما